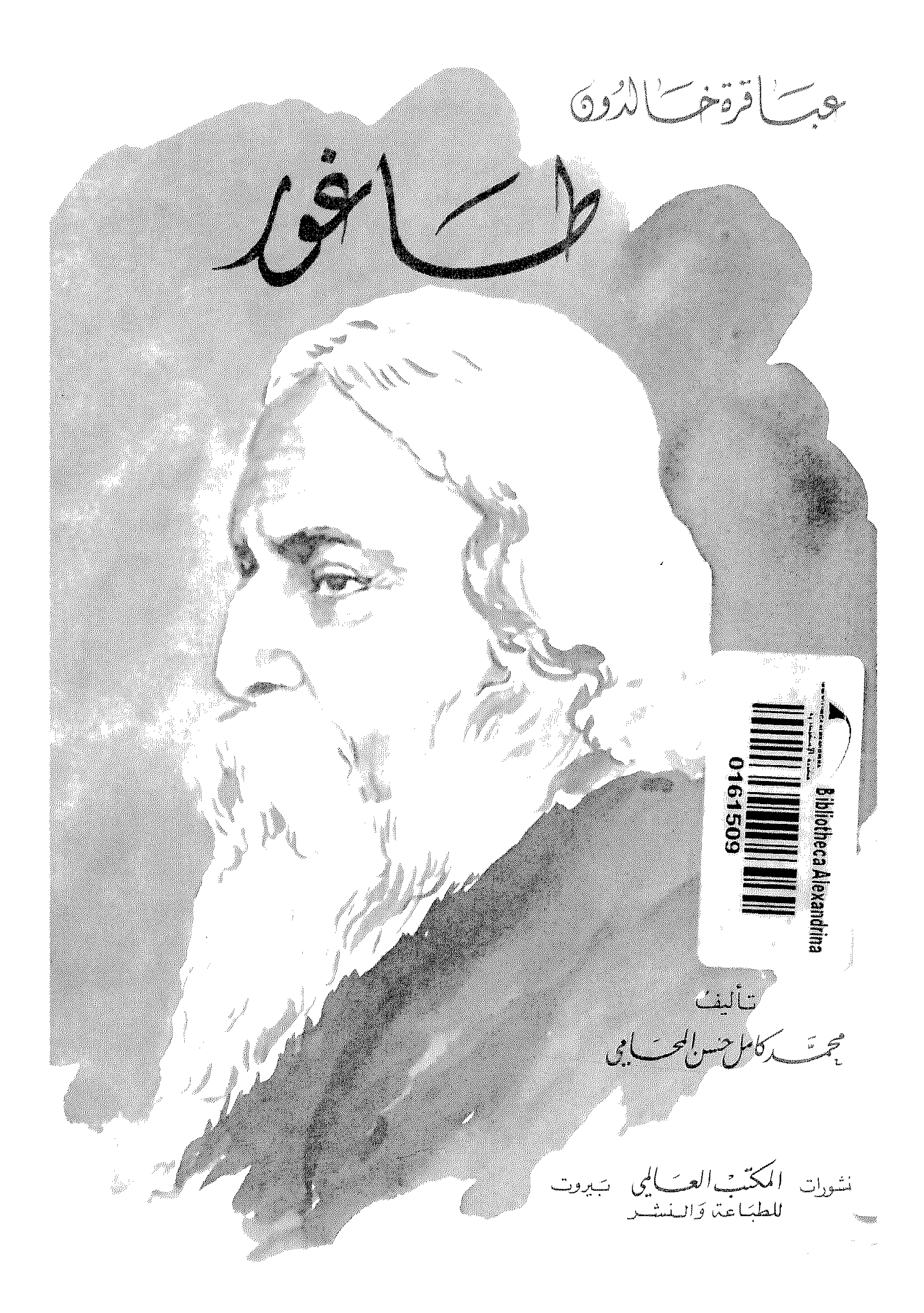
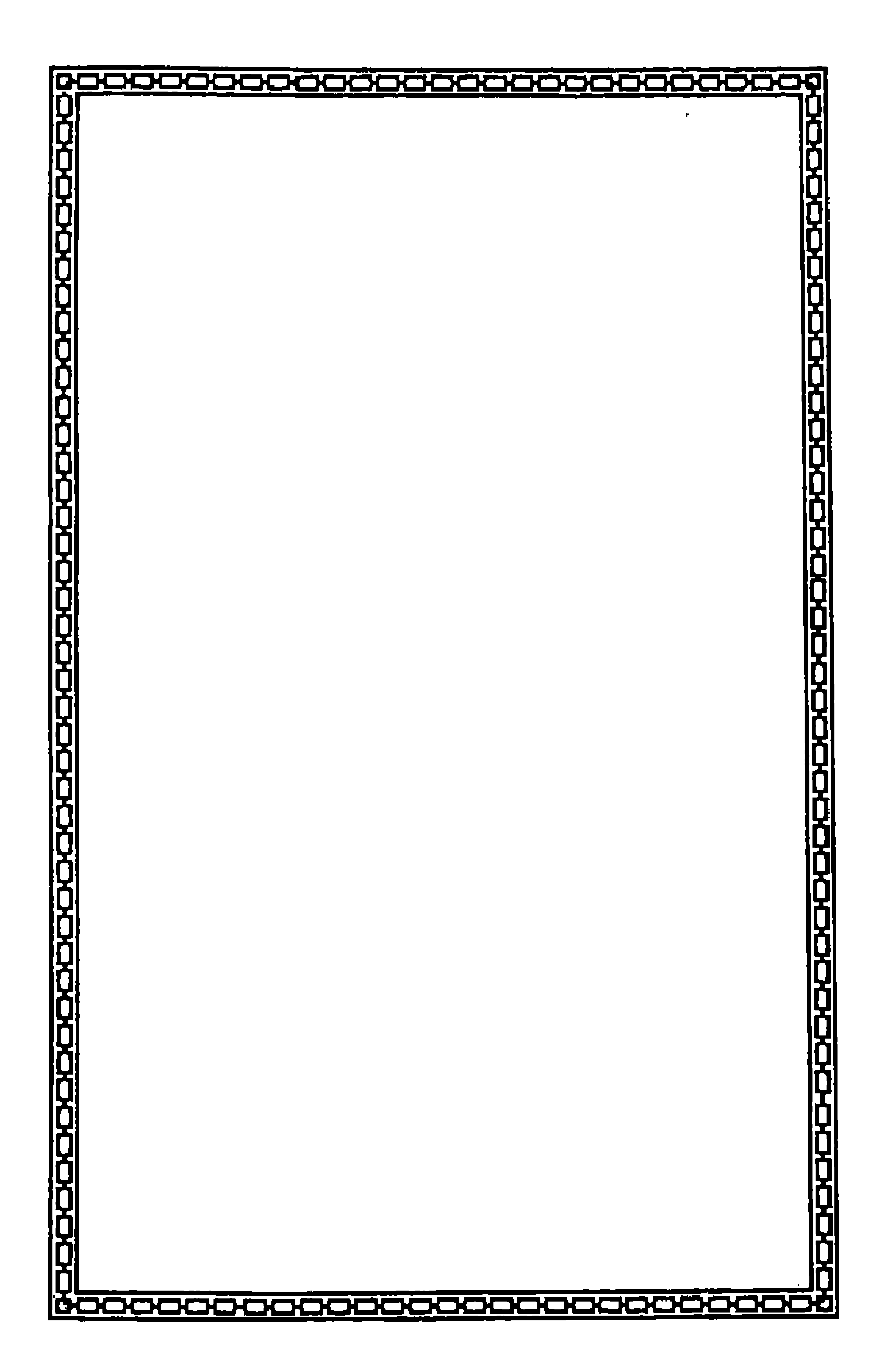
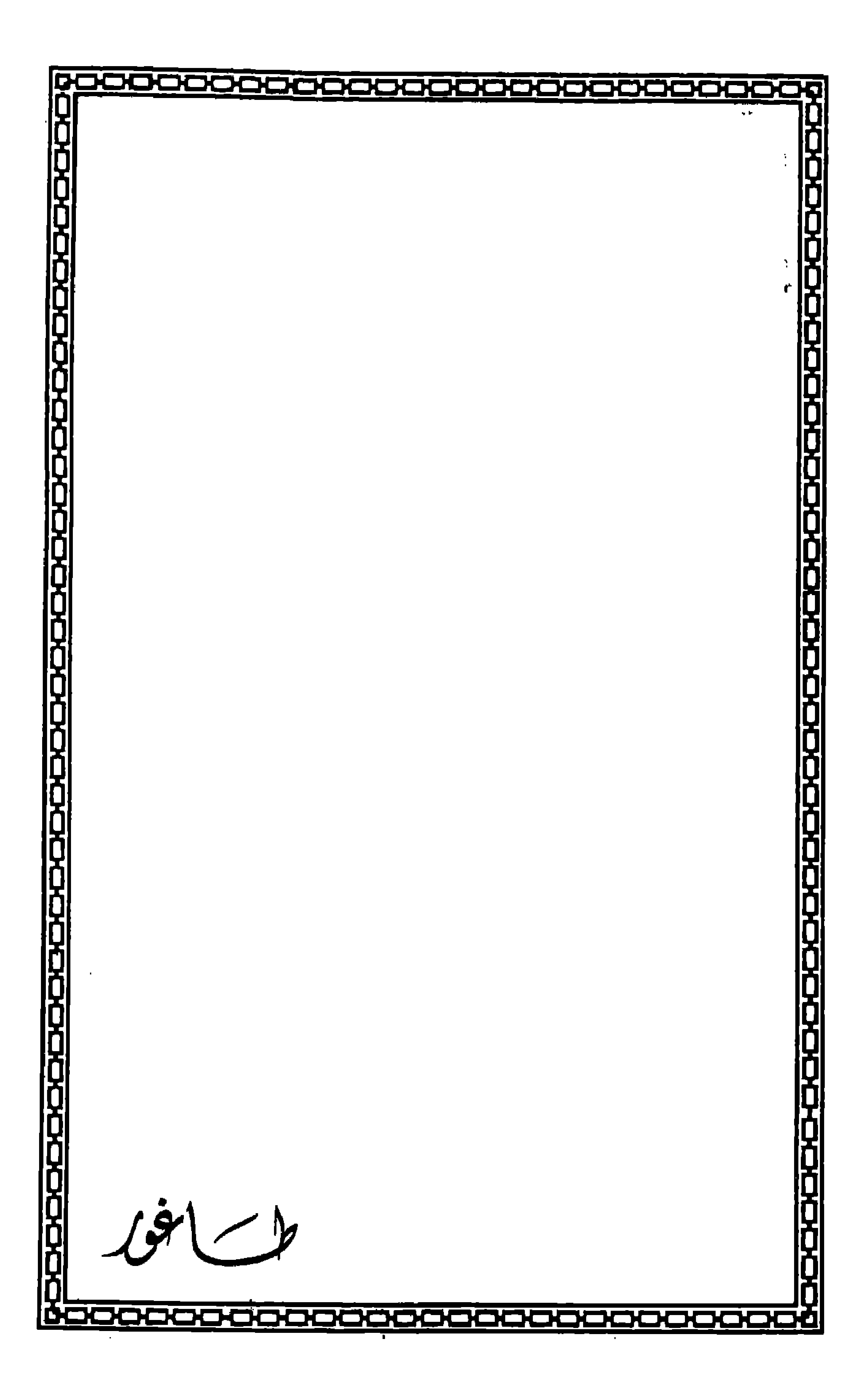
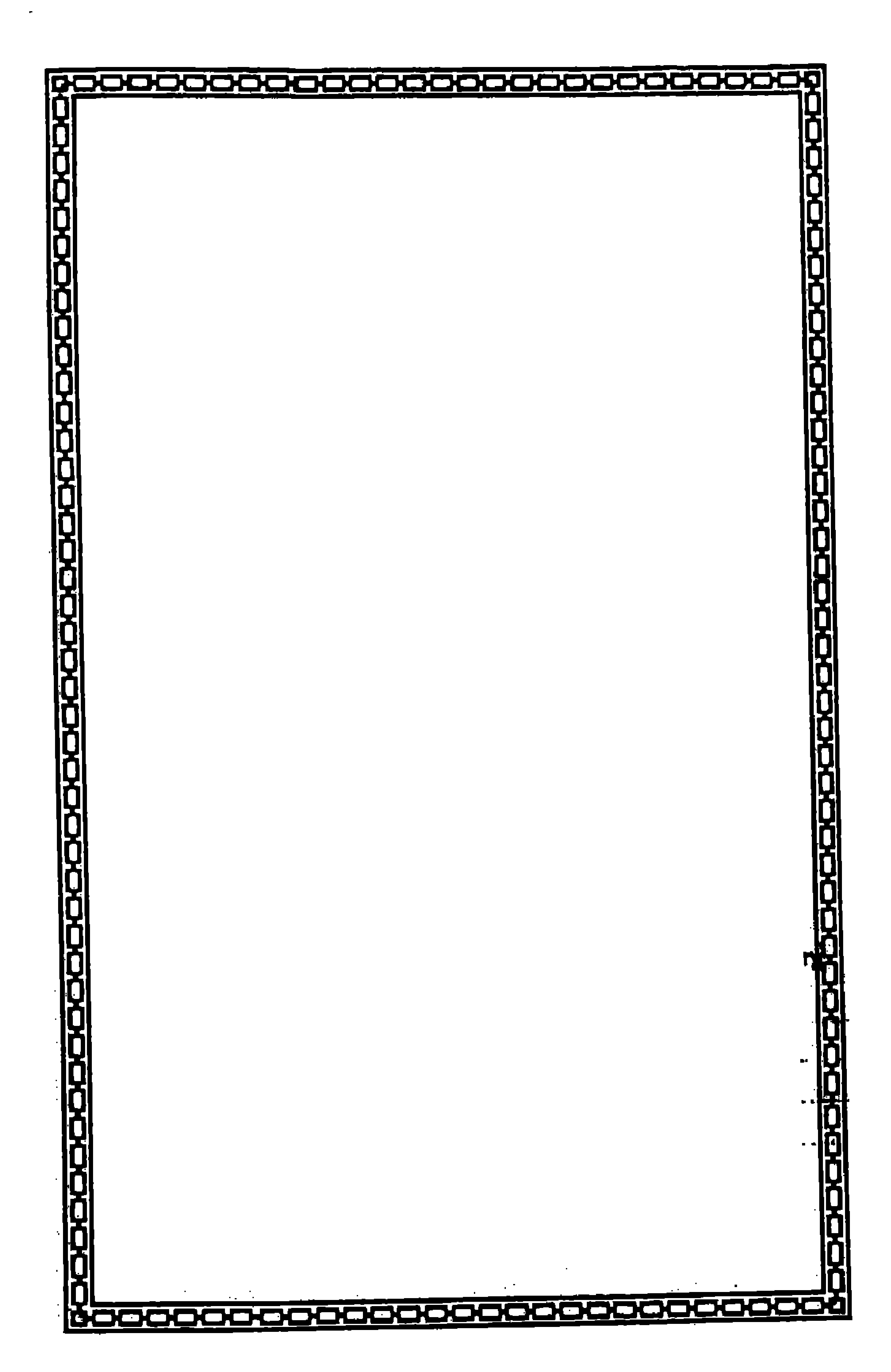
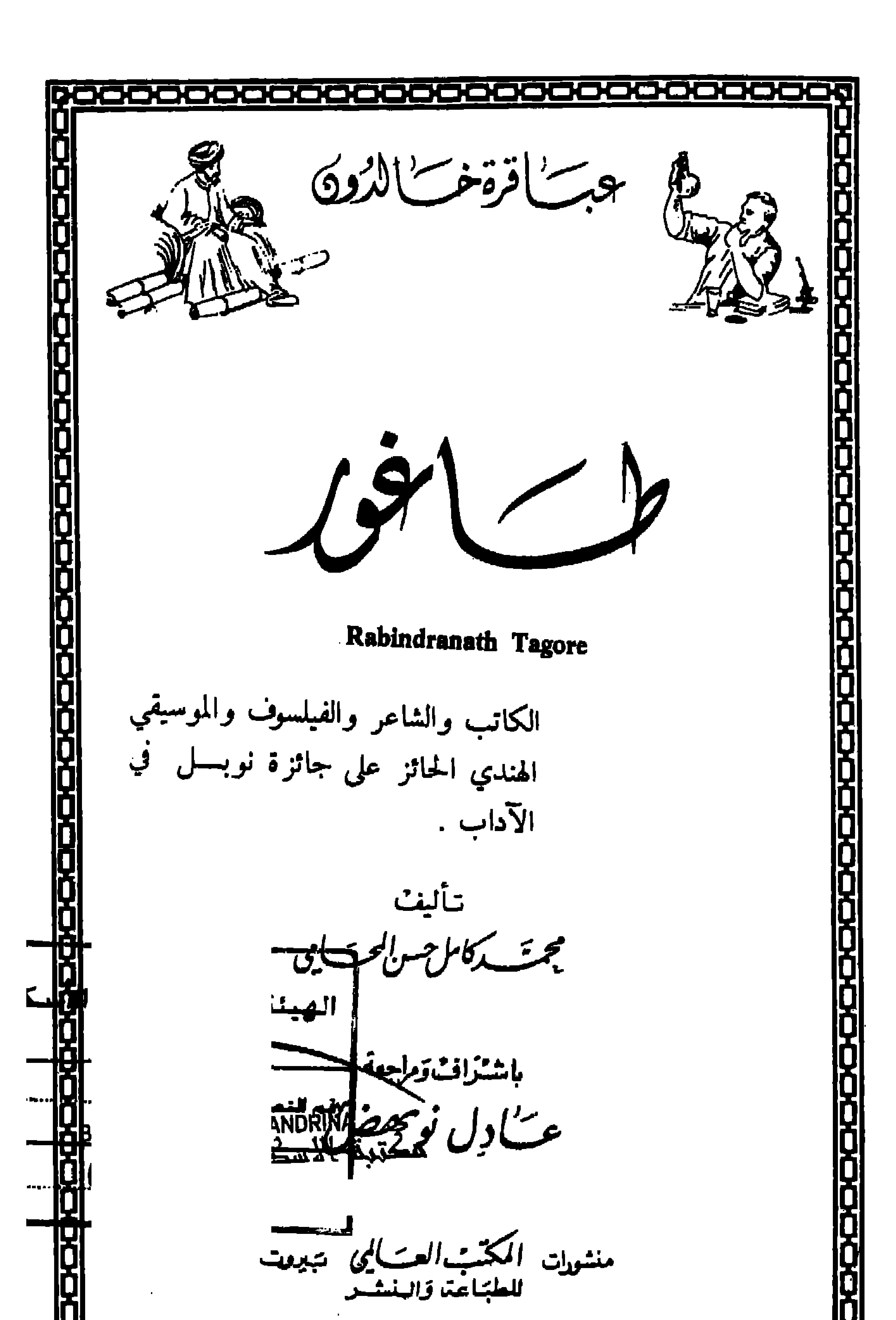

عباقرة خالدون
طاغور
تأليف
محمد كامل حسن المحامي
منشورات المكتب العالمي بيروت
للطباعة والنشر




طاغور





عباقرة خالدون

طاغور

Rabindranath Tagore

الكاتب والشاعر والفيلسوف والموسيقي الهندي الحائز على جائزة نوبل في الآداب .

تأليف

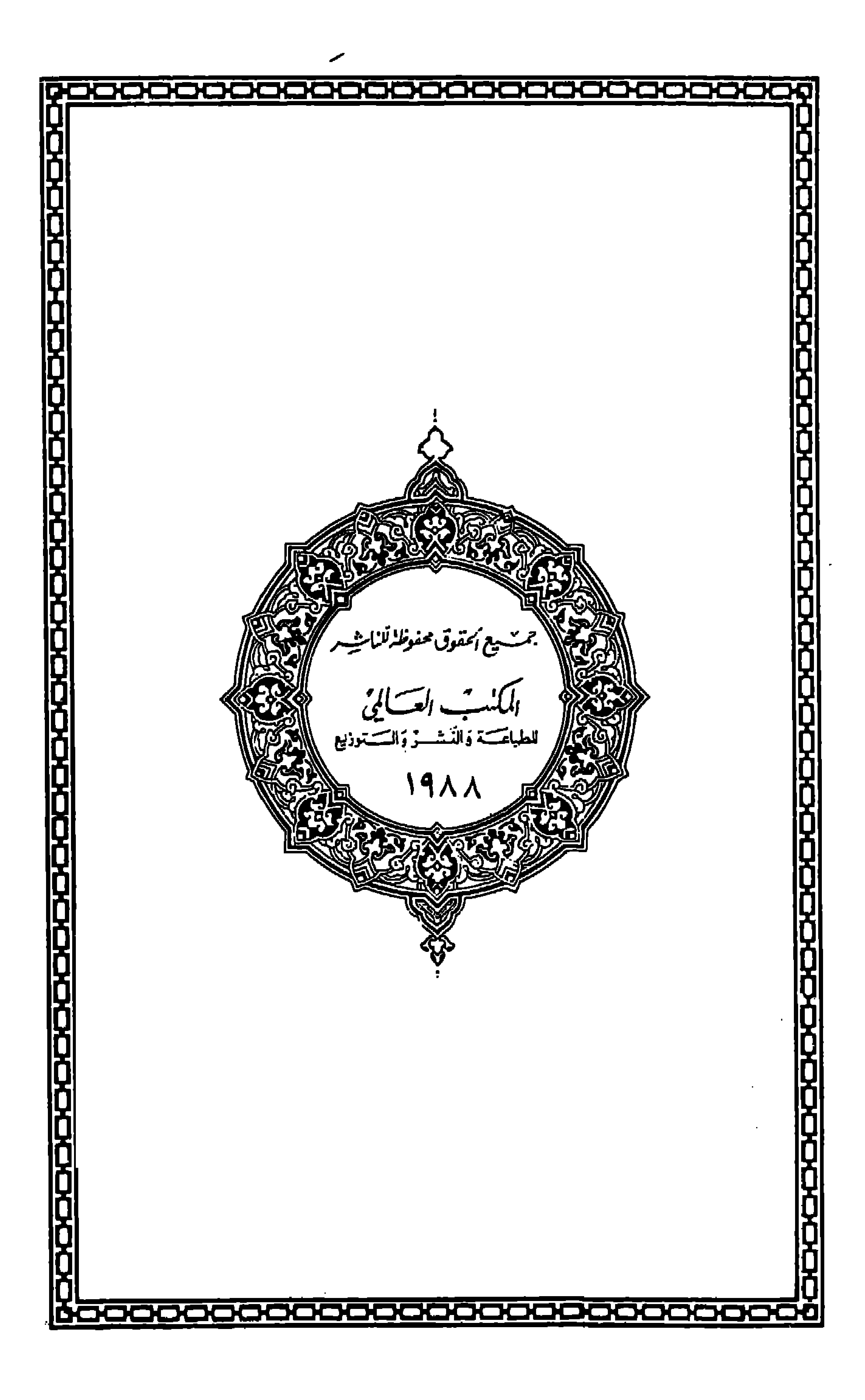
محمد كامل حسن المحامي

باشراف ومراجعة

عادل نويهض

منشورات المكتب العالمي بيروت

للطباعة والنشر



المكتب العالمي
للطباعة والنشر والتوزيع
١٩٨٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

العبقرية سرٌ غامض من أسرار البشرية ..

وسبب غموضه أن عدداً كبيراً من العلماء والباحثين حاولوا أن يعلموا المسبب أو الأسباب التي تمهّد لظهور أحد العباقرة فلم يتفقوا على رأي أو نظرية مُعيّنة ..

ليس من الضروري أن تورث العبقرية . فقد ثبت بالاستقراء أن السواد الأعظم من العباقرة انحدروا من أُسَرٍ ليس فيها ولا في جذورها عبقري واحد كالعالم اينشتاين والمخترع العبقري توماس ألفا إديسون ..

والعبقرية ليست مقصورة على أمة من الأمم ..

والعبقرية أيضاً ليست مقصورة على الرجال .. فهناك عددٌ غيرُ قليلٍ من النساء العبقريات أمثال (هيلين كلر) و (مدام كوري) وغيرهما ...

وما من شك في أن دراسة تاريخ العباقرة يهفو إليه السواد الأعظم من الناس .. لأن ظهور العبقري في عصر من العصور يُعتبر ظاهرة غير عادية ..

إن العبقري يكرّس حياته ومواهبه وطاقات نشاطه العقلي لخدمة الجنس البشري .. فهو إنسانٌ، رجلاً كان أو امرأة، يُفني عمره من أجل تحقيق رسالةٍ تهدف إلى إسعاد الإنسانية جمعاء وتقدّمها في مدارج المدنية .

ونحن نُقدم هذه السلسلة الجديدة من نوعها ونُخصّص كل كتاب منها لسرد تاريخ حياة أحد العباقرة في أسلوب قصصي عصري مشوق ..

ولقد اعتمد مؤلف هذه السلسلة الكاتب المعروف الأستاذ محمد كامل حسن المحامي على أدق المصادر وأوفاها سواء في ذلك المراجع المكتوبة باللغة الفرنسية أو الانجليزية أو الإيطالية إذ أن درايته الواسعة بهذه اللغات جعلت من كتب هذه السلسلة تُحفةً ثقافية حافلة بأهم المعلومات عن حياة هؤلاء العباقرة .

كيف نكتشف العبقرية ؟ ..

كيف نُنمّيها ؟ ..

ما علاقة العبقرية بالعاطفة ؟ .. وهل يعرف العباقرة الحب كما يعرفه البشر العاديون ؟ ..

ما الفارق بين العبقرية والعظمة ؟ ..

كل هذه الأسئلة وغيرها سوف يجد القراء إجاباتها الشافية

في كتب هذه السلسلة التي تعتبر فتحاً جديداً في عـــالم الثقافة .

إن تاريخنا العربي مليءٌ بالعباقرة العظام الذين مجّدهـم الفلاسفة والعلماء الغربيون ..وكان للعباقرة العرب أكبر الفضل على الثقافة الأوروبية ..

ومن هؤلاء ابن سينا وابن خلدون وابن بطوطة وغيرهم .

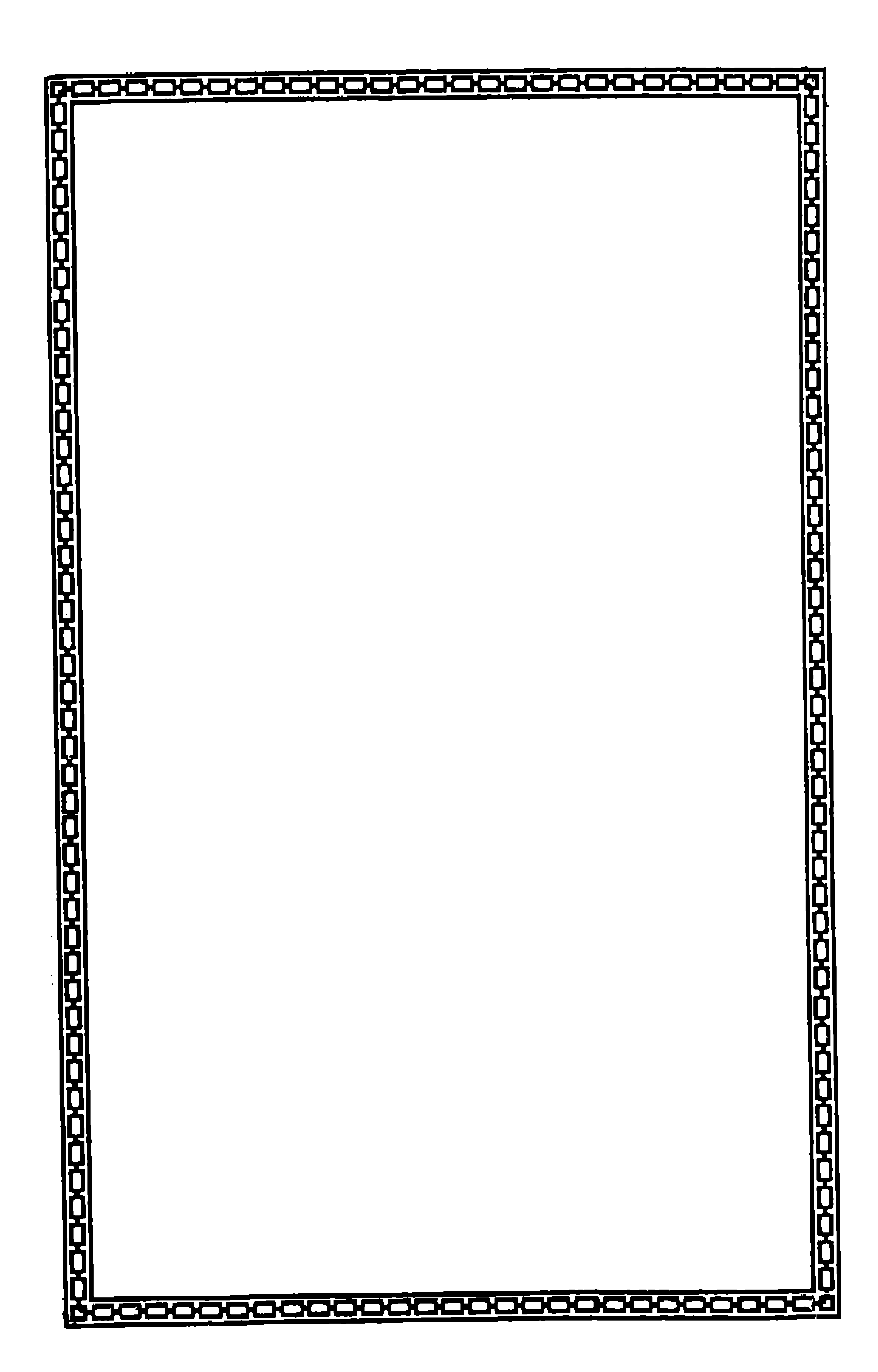
ومن العباقرة العرب الخالدين من سجّل أمجاداً في الميادين العسكرية والاجتماعية مثل صلاح الدين الأيوبي والبطل اللبناني الأصل هنيبعل الذي عرف في التاريخ باسم هانيبال وهو أوّل من عبر جبال الألب بجيشه ليضع حداً لطغيان الرومان وتحرشهم بالشرق .

كل هؤلاء وغيرهم سوف تضمُّهم سلسلة : « عباقرة خالدون » التي رُوعِيَ في كتابتها أن تلائم جيلنا الصاعد وتكون خير عونٍ له ليشقّ على هَدْيِها طريقه في الحياة ..

ونحن نرجو من القراء أن يوافونا بآرائهم عن كل كتاب وألا يبخلوا علينا باقتراحاتهم ..

والله جلّت قدرته هو الموفق لما فيه خير العرب أجمعين .

المكتب العالمي



طَـاغُـور

يجودُ القدَرُ أحياناً على بعضِ الأمَمِ والشُّعوبِ فيَمنحها أكثرَ من عبقريٍّ واحدٍ في فترةٍ محدودةٍ من الزمن . ولما كانَ ظهورُ عبقريٍّ واحدٍ في أمةٍ ما يعودُ عليها بالخيرِ الكثير فَمِمّا لاشكَّ فيه أن ظهورَ أكثرَ من عبقريٍّ في هذه الأمّةِ وفي حِقبةٍ زمَنيّة محدّدةٍ . يُضاعِفُ من الخَير الذي يَعودُ عليهـــا .

كانَتْ شِبْهُ القارّةِ الهنديّةِ ترزَحُ تحتَ نَيْرِ واسْتعبادِ الاستعمارِ البريطانيِّ . وإذْ كانَ البريطانيون يَسْتَنْزِفون خيراتِ الهندِ فيشترونَ مثلاً قُطْنَها بأبخسِ الأثمانِ ثم يَنْسِجُونَه في مصانِعهم ، وبعد ذَلِكَ يَبيعونَه للهنودِ أنفسِهم بأفْدحِ الأثمانِ ، وكانت الهندُ أعظمَ أسواقِ انجلترا ؛ أو الدرّةَ اليتيمةَ فيتاجِ الإمبراطوريةِ البريطانيةِ كما كانُوا يُسَمُّونَها .

كانَتِ انجلترا تحرِصُ كما يحرِصُ كلُّ مستعمرٍ — على إفقارِ الهُنودِ وتَفَشّي الجهلِ بينهم ، كما كانَتْ تتّبعُ طريقة : (فرِّق تسُدْ) لأنَّ وحدةَ الشعبِ تجعلُه قادراً على التخلّصِ من الاستعمار .

وظَهَرَ في الهند عبقريّان عظيمان في وقتٍ واحد .

أما العبقريُّ الأولُ فكان (المهاتما غاندي) [1] الذي تمكّن بجهادِه السلميِّ الرائع من طرْدِ الإنجليز من شبْه القارّة الهندية وجعَل من الهندِ دولةً مستقلةً لها سيادتُها وكرامتُها ..

أما العبقريُّ الثاني فهو الفيلسوفُ والشاعرُ والمؤلِّفُ القصصيُّ والموسيقيُّ (رابندرانات طاغور) الذي حصَل على جائزةِ نوبل في الآدابِ ، فلفتَ بذلك أنظارَ العالمِ أجمعَ الى الهند التي كانتْ شعوبُ أوروبا — من تأثير الدعايةِ الاستعماريّة البريطانيةِ — يحسبُونها غارقةً في الجهلِ متناسين أو جاهلين ما للهندِ من تاريخٍ مجيدٍ عريقٍ في الآدابِ والفنُونِ والفلسفة ...

لقد تضافَر (طاغور) مع غاندي لمحاربةِ الاستعمارَ البريطانيَّ وذلكَ بعد أن اختلفتْ وجهاتُ نظرهما بعضَ الوقت . ولكن حبَّهما المشتركَ لوطنهما واستهتارَ المستعمرين الإنجليز بأرواحِ الجنودِ العزّل من السّلاحِ ؛ بل عدم اكتراثِهم بأبسط المبادىء الإنسانيةِ جعَل كلاً من العبقريين يتناسى خِلافَه النّظريَّ مع الآخرَ لينشُدا سويّاً مَجْدَ الهنْدِ واستقلالِها .

وسنتحدّثُ عن هذا الخلافِ النّظريِّ بين عبقريّي الهندِ في فصلٍ لاحقٍ من هذا الكتاب .

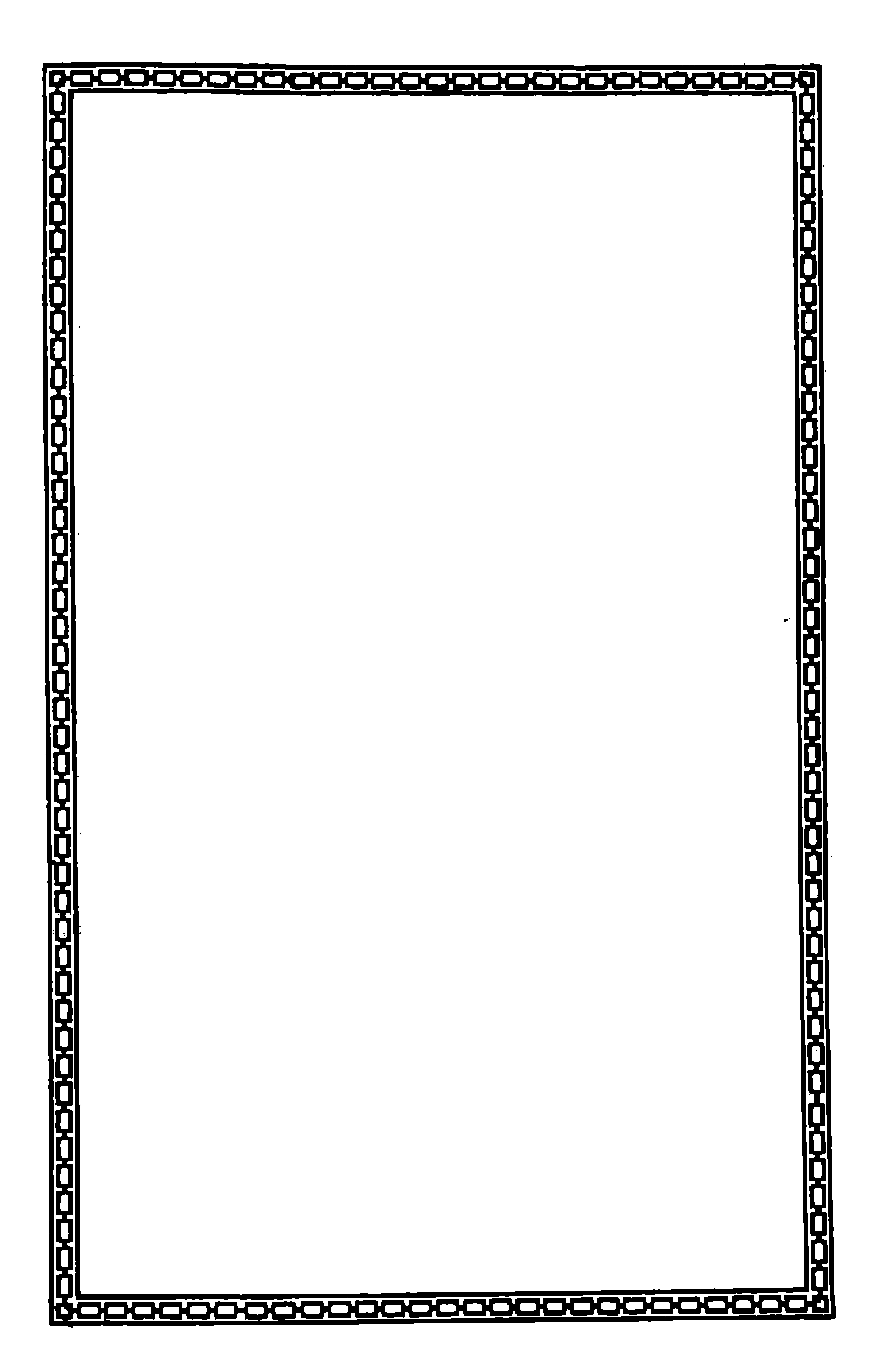
المؤلف

---

(١) راجع كتاب (المهاتما غاندي) احد كتب سلسله « عباقرة خالدون » لنفس المؤلف ونفس الناشر .

الفَصْل الأول

نَشْأَتُهُ وَبيئتُهُ



وُلِدَ (ربندرانات طاغور) فِي مدينةِ (كَلْكُتّا Calcutta) بالهند وذلِك في سَنَةِ ١٨٦١ ميلادية.

وكانَ والدُه ثرياً من مُلاَّكِ الأَراضي ، أَو كما قَالَ طاغُورُ في مذكِّراته : «

« My father was a wealthy land owner »

وكان الوالدُ متزوِّجاً من امرأَتيْن أُخْرَيَيْنِ غير أُمِّ (رابندارات طاغور) ...

وكانَ عددُ أَبنائِه وبناتِه ثلاثَةَ عَشْر .

كان مُلاَّكُ الأَراضي الواسعةِ يُحبُّون كَثْرَةَ إنجابِ الأَبناء حتى يُساعِدُوهم - إذا كبروا - في استغلالِ تلك الأَراضي والإشرافِ على الأَيْدِي العاملةِ فيها ...

وقُبَيلَ ولادةِ (رابندرانات طاغور) رأى أبُوه حُلماً غيرَ عاديٍّ ...

لقد رأى في فناء دارِه الكبيرةِ ثلاثَ عشرة نخلةً من نخيلِ جوز الهند قد تَقاربَ بعضُها من بعضٍ وتساوت أطوالُها، كما كانَتْ كلُّها في منطقةٍ ظليلة بينما الشمس تُشرِقُ على منطقةٍ أخرى مكسوةٍ بالحشائش الخَضراء .. ولكنَّ المَواشِي والأغنامَ لم تكُنْ ترعى تلك الحشائشَ على غيرِ المألوفِ في الهند إذ كانَتِ المراعِي الخَضراء تكتَظُّ دائماً بمختلَفِ أنواعِ الدوابِّ ...

وفجأةً - وبينما كانَ والدُ طاغور يتأمَّلُ في منامِه تلك المنطقةَ التي تغمرُها الشمسُ - وَجَدَ نخلةً جديدةً تَنْبَعِثُ من الأرضِ وتنمو وتطولُ رُويداً رُويداً ثم تخرُجُ منها ثمارٌ مختلفةٌ ألوانُها متعدِّدةٌ أنواعُها ، وتزْدحمُ

البُقعةُ المُشرِقَةُ بأُناسٍ لا حَصْرَ لعَدَدِهم وهُمْ يأْخذُون من تلك الفاكِهةِ العَجيبةِ التي لا تَنْفذ ...

وفي نفسِ الوقْتِ تَوَافدت قطعانٌ كثيرةٌ من المواشِي لِتَرْعَى الحشائِشَ الخَضراءَ .

ولما استيقظَ والدُ (طاغور) من نومِه وتذكَّر ذلك الحُلْمَ استبدَّ به العَجَب .

وذَهَبَ الوالدُ إلى أحدِ الكهَنةِ وقصَّ عليه ما رَآه في مَنامِه ، فَفكَّر الكاهِنُ في عُمقٍ ثم قالَ له :

– إن الثَّلاثَ عشرة نخلة التي رأَيْتَها في منامِك متجاوِرَةً متقاربةَ الطولِ إنما تُعبِّرُ عن بَنَاتِك وأَبنائِك الثلاثةَ عشر . وأَما النخلةُ الرابعَةَ عشرةَ فهي مولودٌ جديد ستُرزقُ به سوفَ يكونُ له شأْنٌ عظيمٌ ، وستجودُ قريحتُه بمختلف الثِّمار الذهنيَّةِ التي يَتَهافَتُ عليها

الناسُ . وتُفيدُ منها جميعُ المخلوقاتِ الحيَّةِ من بَشرٍ ودَواب ...

وسَكتَ الكاهِنُ قليلاً ثم قال :

ـ ولكنْ ... ! ... ولكنني أُحذِّرُكَ من أمرٍ !

وسأَله والدُ طاغور :

ـ وما هُو هَذا الأَمر ؟ .

قال الكاهن :

ـ إيّاكَ أَن تَضعَ هذا المولودَ الجديدَ في نفسِ الحيِّزِ من الحياة الذي تضَعُ فيهِ أَبناءَك الآخرين .

وسأَلَه الوالدُ متعجِّباً :

ـ ماذا تعني يا سَيِّدي الكاهن ؟ .

قالَ الكاهِنُ :

ـ إن النَّخْلةَ الرابعة عشرةَ التي رأَيتَها في مَنامِك تنبعثُ من الأَرض ، كانَت في بقعة مشرقةٍ كما تقول :

قال الوالد :

- نعم ... وباقي النخلاتِ الثلاث عشرة كانت كلُّها في بُقعةٍ بعيدةٍ عن النور ...

قال الكاهن :

- هذا ما أقصدُهُ ، إن الأرضَ لا تُشرِقُ إلا بنُورِ العلمِ والمعرفةِ ، إن ابنَك القادِمَ لا تجعلْه يتعلَّمُ فُنونَ فِلاحةِ الأرضِ وبيعِ المحاصيل كأولادِك الآخرين ، ولكن عليك أن تهتمَّ بتعليمه وتثقيفِه منذُ نعومةِ أظفاره ، فإذا فعلتَ ذلك فَسَيَكُونُ لابنِك هذا شَأْنٌ عظيمٌ كما أخبرتك ، ويستفيدُ من علمِه وثقافتِه عددٌ كبيرٌ من مخلوقاتِ الله تعالى ، لأنَّ ذلك هو تفسيرُ مارأيتَه في منامِك من أن النخلة الرابعةَ عشرةَ تخرجُ منها ثمارٌ مختلفةُ الألوانِ والأنواعِ والناسُ يتزاحمون لِكيْ يأْخذَ كلٌّ منهم نصيبَه منها ، كما أنَّ مختَلَفَ

أنواعِ الماشيةِ اكتظَّتْ في المراعي التي حَوْلَها ...
وشكرَ والدُ طاغـور الكاهنَ ، وهـمَّ بالانصراف ، فاستوقَفَهُ الكاهنُ قائلاً :
ـ لا داعيَ لكي تَتَحدثَ عن حُلمِكَ هذا مع أَحدٍ أبداً ، إذ إن عَينَ الحَسَدِ قاتِلةٌ كما تَعْلم ...
ووَعَده الوالدُ بأَنَّه لن يُخبرَ أَحداً بما رآهُ في منامه .
ولكنْ من المؤكَّدِ أنه أخبرَ ابنَه (رابندرانات) بذلِكَ الحُلم حين كبُر .
لقد ظلَّ (رابندرانات طاغور) يتفاءَلُ بالرقمِ (١٤) طِوَال حياتِهِ .
لقد أَلَّفَ أولَ قصيدةِ شعرٍ نجحَتْ لَهُ في حياتهِ وهُوَ في الرابعة عشرة من عمرِه .
وكانت هذه القصيدةُ تتحدثُ عن سعادةِ الطيورِ وهِيَ منطلقةٌ في الجوِّ لا تعرفُ الهمومَ

التي يعرفُها الإنسانُ ولذلك فهيَ تَشْدُو دَائماً...

وكانت القصيدةُ مكونةً من أَربَعَ عشرة أُرجوزة .

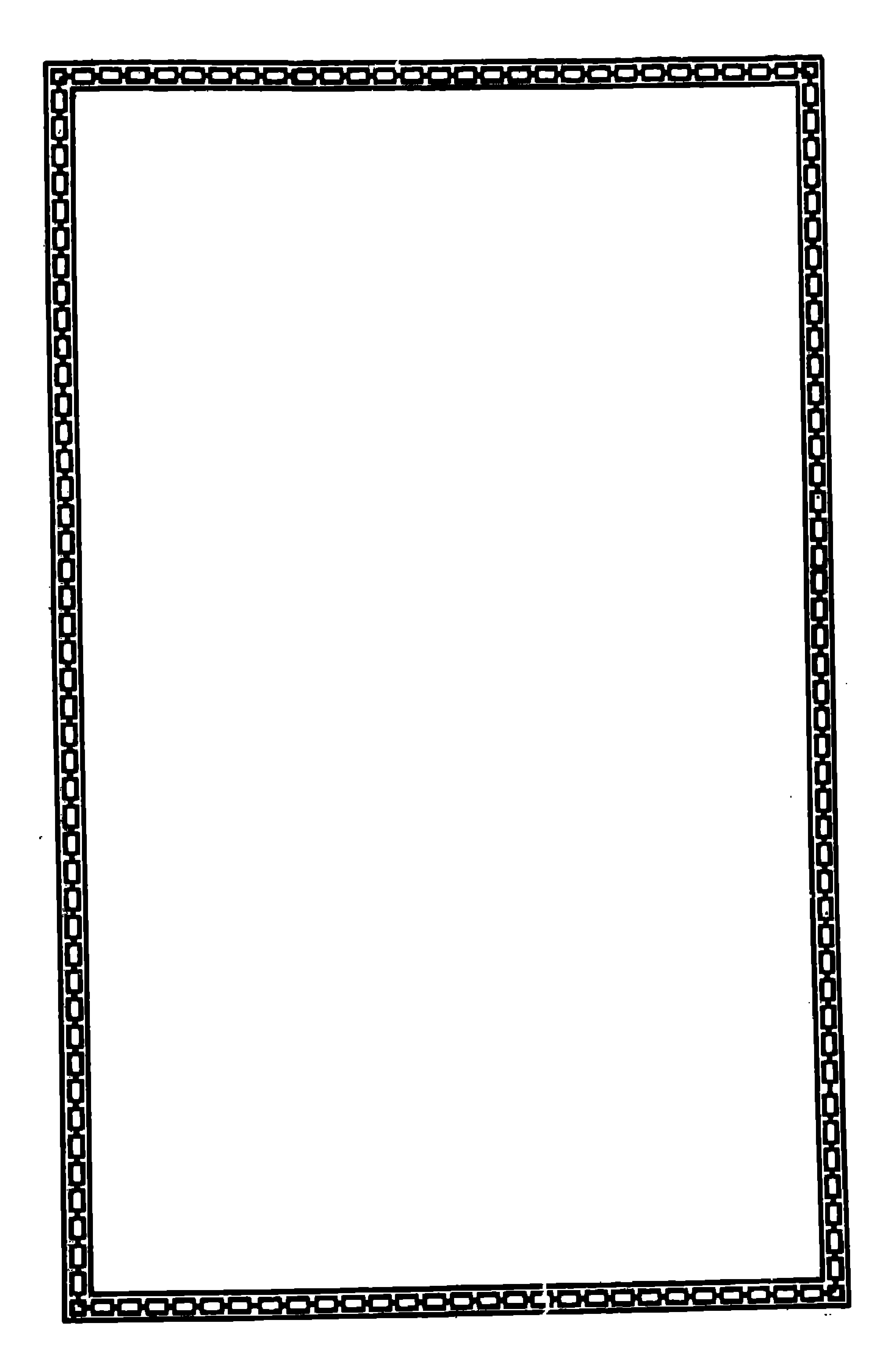
كما كانَ يحتفظُ في بيتِهِ بقفصٍ وَضَع فيه أَربعةَ عشَر طيراً من طيورِ الزِّينةِ الهنديَّةِ الصغيرةِ التي تُعرَفُ باسم (نَنْجلِّينا) . وكانَ يَفْتح لَها طاغُورُ بابَ القفصِ فتخرجُ وتَطِيرُ في السَّماءِ ثم تعودُ إليه طائِعةً مُختارة ...

ويبدو أَنَّ النَّخْلةُ ذاتَ الثمارِ المختلفةِ الأَلوان والأَنواعِ هي التي عَناها (رابندرانات طاغور) في كتابه الذي أَطْلقَ عَلَيه (جَنْيُ الفاكهة : Fruit gathering)



الفصل الثاني

طاغور والموسيقى الهندية



لدراسةِ شخصيَّةِ بطلِ كتابِنا هذا (رابندرانات طاغور) لا بدّ لنا من الإلمام ِ - ولو بعضَ الشيء - بالآدابِ الهنديَّة ، سواءٌ في ذلك النَّثر أَم الشِّعْر أَم القصة ...

ومن ناحيةٍ أُخرى لا بدَّ لَنَا من أَنْ نَأْخُذَ فكرةً سريعةً أَيضاً عن الموسيقى الهِنديَّة :

إن أَعمالَ طاغور الأَدبيةَ التي تُرجِمَت إلى مختلَفِ لغاتِ العالمِ ، تناوَلَتْ كلَّ هذهِ الفُروعِ من الأَدب ، فلهُ أَشعارُه ومقطوعاتُه النَّثْريَّةُ العميقةُ المعنى . وله كذلك عددٌ كبيرٌ مِن القِصص ...

كما أَنَّ (طاغورَ) كانَ مُؤَلِّفاً موسيقيّاً

موهوباً ، وقد لحّن بِنَفْسِهِ كلَّ الأَغاني التي كان يكتب كلماتِها ، والتي أَعجَبَتِ الشعبَ الهنديَّ على مختلَفِ طبقاتِهِ وأَصبحتْ تتردَّدُ على كلِّ لسانٍ تقريباً ...

كان جزءٌ من هذه الأَغَاني له صِبغةٌ شعبيَّةٌ . وكانَ جانبٌ منها مسْتَمدّاً من الأَلحانِ الهنديَّةِ الفولكلُوريَّةِ القَديمةِ ، مع تبديلِ الكلماتِ إلى اللُّغَةِ (البنغاليّة) المُبسَّطةِ حتى يَسْتَسِيغَها الناس ...

وأَسْهمت الأَلحانُ التي وَضَعَها (رابندرانات طاغور) لأَغانيه إسْهاماً كبيراً في خَلْقِ لَونٍ جَديدٍ من الموسيقى الهنديَّةِ وهي الموسيقى الوطنيَّةُ الحماسيَّةُ .

وكانَتْ هذه الأَلحانُ الحماسيةُ من بينِ الأَسْلحةِ الفَعَّالةِ التي حَافَظَتْ على الجُـذوَةِ الوطنيَّةِ مُشْتعِلَةً إبَّانَ صِراعِ الهندِ ضِـدَّ

الاستعمارِ البريطانيّ ...

وفي سنة ١٩٤٧ ميلاديَّة، حينما ظفِرَت الهندُ باستقْلالِها ، واعترفَتْ بريطانيا بهذا الاستقْلال ، كما اعترفَتْ به دولُ العالم أَجمع ، اختارَتِ الهندُ لنَشِيدِها القوميِّ أُغنيةً وطنيةً كانَ (رابندرانات طاغور) قَدْ أَلَّفَ كلماتِها وأَلَّف لحنَها سنةَ ١٩١٢ ميلادية

إنَّ (طاغور) لم يَكُنِ الوحيدَ بين العباقرةِ الذين تعدَّدتْ أَوجُهُ عبقريَّاتِهم ...

إن العبقريَّ الإيطاليَّ (ليونار دودافنشي) كان مهندساً ومخترعاً وموسِيقياً وعالِمــاً في التَّشريحِ كما أَنَّه كانَ رسَّاماً عالمياً وتُعتبَرُ لوحاتُه التي خلَّفها من أَثمنِ وأَغلى التراثِ الفنِّيِّ الذي تَعتزُّ به الإِنسانيةُ جمعاء ، كلوحةِ (الجيوكوندا) أَو (الموناليزا) ولوحة (العشاء

الأخير) وغيرهما (١) .

وكذلك الحالُ معَ العباقرةِ العربِ (ابن سينا) و (الفارابي) وغيرهما (٢).

***

لم ينْسَ والدُ (طاغور) تفسيرَ الحُلمِ الذي رآه .

وقد أظهرَ ابنُه منذ طفولتِهِ معالمَ النَّجابةِ ، وكانَتْ تصرّفاتُه تتَّسِمُ بالذكاءِ الشديدِ ، كما كان على قدرٍ كبيرٍ من دقَّةِ المُلاحظة .

وأولُ شيءٍ استَلْفَتَ نَظَرَ أبيه كان شدةَ حبٍّ (طاغور) منذ أن كان طفلاً للاستْماع إلى الموسيقى ...

---

(١) راجع كتاب (ليوناردو دافنشي) احد كتب سلسلة «عباقرة خالدون » لنفس المؤلف ونفس الناشر –

(٢) راجع كتابيهما ضمن سلسلة (عباقرة خالدون) لنفس المؤلف ونفس الناشر .

كان أحدُ العمالِ الهنود في مزرعةِ أبيه يجيدُ العزفَ على الآلةِ الموسيقية الهنديّةِ المسماة: (فينا Vina) . وهِيَ آلةٌ تُشبِهُ العودَ العربيَّ شُدَّتْ عليها أربعةُ أوتار .

وهذه الآلةُ الـ (فينا) هِيَ وآلةٌ هنديةٌ اخرى اسمُها الـ (سيتار Sitar) تعتبران مِن أقْدمِ الآلاتِ في تاريخِ الموسيقى الهنديّة ...

والطبولُ هيَ الأُخرى تلعبُ دوراً رئيسيّاً وهامّاً في السّوادِ الأعظم من الألحانِ الهندية ..

وهذه الطبُولُ مختلفةُ الأنواعِ ومختلفَةُ الأصواتِ ، وهي تُشْبِهُ في أدائها الكثيرَ من الطُّبول أو الدفوفِ الكبيرةِ التي تُستعمَلُ في بعض البلادِ العربيَّة ، للتحكُّم فيما يُسمّيه الموسيقيون بالإيقاعات و (الدُّم) و (التِّك) .

وكان الهنودُ القدماءُ يعتقدون أنّ الإلهَ (كريشنا Crishna) يُحِبُّ آلةَ الـ (فينا)

ويُفَضِّلُها كثيراً على سَائِر الآلاتِ الموسيقيَّةِ الأُخرى ...

وهناكَ لوحاتٌ كثيرةٌ ما زَالَتْ تُزيِّنُ جُدرانَ الكثيرِ من بيوتِ الهنودِ حتى الآن ، تظهرُ فيها مناظرُ مختلفةٌ للإله (كريشنا) هذا مَعَ حَبيبته أو زَوْجتِهِ (ردهة Rodha) وهما يَسْتمعان في نشوةٍ إلى امرأةٍ تعزفُ على آلةِ ال (فينا) .

ولما دخلَ الإسلامُ الهندَ ابتداءً من القرنِ الثاني عشر للميلاد ، غيَّر الكثيرَ من المفاهيمِ حولَ تلكَ الخرافاتِ عن تعدُّدِ الآلهة ، فآمَنَ مَنْ أَسْلَمَ من الهنودِ بوَحْدَانيَّةِ الله سبحانه وتعالى ، أما الذين لم يُسْلموا فقد تَزَعْزَعَتِ اعتقاداتُهم في آلِهتِهم المتعدِّدةِ ، ولكنَّهم احتفظوا في كُتُبهم بأَساطِيرِهم الدينيَّةِ كما احتفظوا باللوحاتِ التي تُمثِّلُ الآلهةَ المختلفَةَ

كأشياءِ لها في نظرِهم قيمتُها التاريخيَّة .

***

كان (رابندرانات طاغور) في طفولتِه يَترِكُ منزلَ أَبيه في المزْرعة ليجلسَ إلى جوار ذلِكَ العامِلِ الذي كانَ يُجيدُ العزْفَ على آلةِ ألفينا .

كان يندمجُ مع الأَلحانِ اندماجاً عجيباً ! .. ويبدو أنَّه رَغْمَ صِغرِ سنه - كَانَت تحملُه تلك الأَلحانُ على أَجنحةٍ غَيْرِ مَرئيةٍ لكيْ تذهبَ به إلى عَالَمٍ بعيدٍ من الخيال !

ويقولُ طاغورُ عن ذلك :

« كان ذلِكَ الرجلُ يعزفُ في مهارةٍ ، وفي رِفْقٍ وكانَ يُخيَّل إليَّ أَن آلَةَ الـ (فينا) تبكي تارةً ، وتتنهَّد تارَةً أُخرى .. ثم لاَ تَلبَثُ أَن تَفْرَحَ وتمرحَ وكأَنَّها محزونٌ طرَحَ عن كاهِلِه همومَ الدنْيا ولم يعُدْ يَكْترِثُ بها ؛

لأنه أَيْقَنَ من أَنَّ الهمومَ تُعرقِلُ مَسيرَةَ التَّقَدُّمِ في الحياة ... » .

« كنتُ إذا سَمعتُ الموسيقَى أَجِدُ نَظْرتي تتبدَّلُ إلى كلِّ شيءٍ في هَذِهِ الدُّنْيا .. »

وفي مناسبةٍ أُخرى يقولُ طاغور :

« إنَّ المُوسيقى لغةٌ عالميةٌ ، يفهمُها جميعُ البَشرِ على اختلافِ جِنْسِيَّاتِهم ، وهذا أَعظمُ وأَروعُ ما فِيها . كما أَنني واثِقٌ من أَنَّ عدَداً كبيراً من الحيواناتِ والطيورِ تَطْرِبُ لِسَماعِ موسِيقانا نَحنُ البَشَر ! .. »

« كنتُ أُلاحِظُ أَنَّ بعضَ طُيورِ (البنجلِّينا) و (البلابل) و (الكنار) تقِفُ على أَغْصَانِ الشجرِ القريبِ وتَسْتَمعُ إلى العزْفِ على الـ (فينا) ، ويحاولُ بعضُ هذه الطيور أَن يَشْدُوَ في أَثناءِ العزفِ بأَصوات تكادُ تُطابق أنغامُها حدَّةَ أَو انخفاضَ الأَنْغامِ المُنْبَعِثَةِ مِن الـ (فينا).

« وكانَ لأَبي جَوادٌ أَبْلقُ ، كانَ بمجرَّدِ سَماعِ الأَنغامِ يَنْصِبُ أُذُنيْه الصَّغيرتين ويُوجِّهَهُما نحوَ عازفِ الـ (فينا) ويظَلُّ مُلْتَفِتاً إليه في انتباهٍ شديدٍ طِوالَ عزفِه ، غيرَ مُبالٍ بالطَّعام الذي أَمَامَه ، فإذا ما انقطعَ الرجلُ عن العزْفِ أَرخَى الجوادُ الأَبلقُ أُذنيْهِ وأَخْفَضَ رأْسَه إلى الأَرضِ ليستأْنِفَ الأَكلَ مِنْ جديد » .

وكانَ عازفُ الـ (فينا) تسرُّه كثيراً أَن يجدَ الصبيَّ الصغيرَ (طاغور) مُعجباً بِعزْفِهِ ..

وكان طاغورُ يراقبُ في اهتمامٍ زائدٍ تحركَ أَصابعِ يدِ العازفِ اليُسرى على عُنقِ آلةِ الـ (فينا) ، كما يفعلُ منْ يعزِفُ على آلاتِ العودِ أَو القيثارةِ أَو المندولين أَو الكمان أَو غيرها من الآلاتِ الوتريَّة للتحكُّمِ في النَّغَماتِ ، إذ المعروفُ أَنَّ الوَتَرَ إذا قلَّ طولُه بما يُسَمُّونه (العَفْق) ازدادتِ النَّغمةُ الصادرةُ عنه حِدَّةً ...

لقد أَدْرَكَ طاغُورُ ذلك ...

ورَجا عازِفَ الـ (فينا) أن يُعلِّمَه كيف يعزفُ عليها ...

ولم تَمْضِ سِوَى أيامٍ حتى كانَ والِدُ طاغور يستقبلُ ذلك العاملَ في مزرعتِهِ ، ويتَّفقُ معه على أَجْرٍ إضافيٍّ لِكَيْ يعلِّمَ ابنَه العزفَ على الـ (فينا) .

واشترى الوالدُ له آلةً خاصةً به حتى يكونَ تدريبُه أَوفى وأَسرع ...

ولبثَ (رابندرانات طاغور) يحتفِظُ بهذه الآلةِ العزيزةِ لديه إلى آخرِ لحظةٍ في حياتِهِ ...

***

إن أكثرَ ما يُميِّزُ الموسيقى الهنديَّةَ أَنها لم تَتأَثَّر أبداً بالموسيقى الغربيةِ ، ولبِثَتْ محافظةً في إصرارٍ وأَصالةٍ على طابَعِها الخاص .

وبعد استقلالِ الهند ابتدأَتِ الأَنظارُ تَتَّجِهُ إلى الاهتمامِ بدراسة الآدابِ والفنونِ الهنديَّة .

ولَقَد صدرَت عدةُ كتبٍ عن الموسيقى الهنديَّة وكانَ أَوفاها ما أَصدرَه الأُستاذ (هارُولد باورز Harold Powers) أُستاذُ الموسيقى والفنونِ الجميلة في جامعةِ (بنسلفانيا) وأَطلقَ على كتابه اسم :

« موسيقى الهند The Music of India »

كما صدر كتابٌ آخَرُ للمؤلفِ (فوكس سترانجواي Fox strangway) باسم (موسيقى هندُستان The Music of Hindostan) .

وقد تحدَّثَ المؤلِّفُ الإِنجليزيُّ (تومبسون إ . ج . Thompson E. J.) عن موسيقى (رابندرانات طاغور) الحماسيّة والوطنيّةِ وذلك في كتابِهِ الذي أَصدره عن طاغور وأَسماه :

« طاغور : شاعر ومؤلف موسيقي ومؤلف

روائي » . « Togose : poet, composer and dramatist ».

وقال المؤلفُ إن موسيقى طاغور كانَ لها أبلغُ الأثرِ في إذكاءِ الروحِ الوطنيةِ لدى الهنودِ لمقاومةِ الاستعمار البريطانيِّ . وهذا ما أشَرْنا إليه فيما سَبَق .

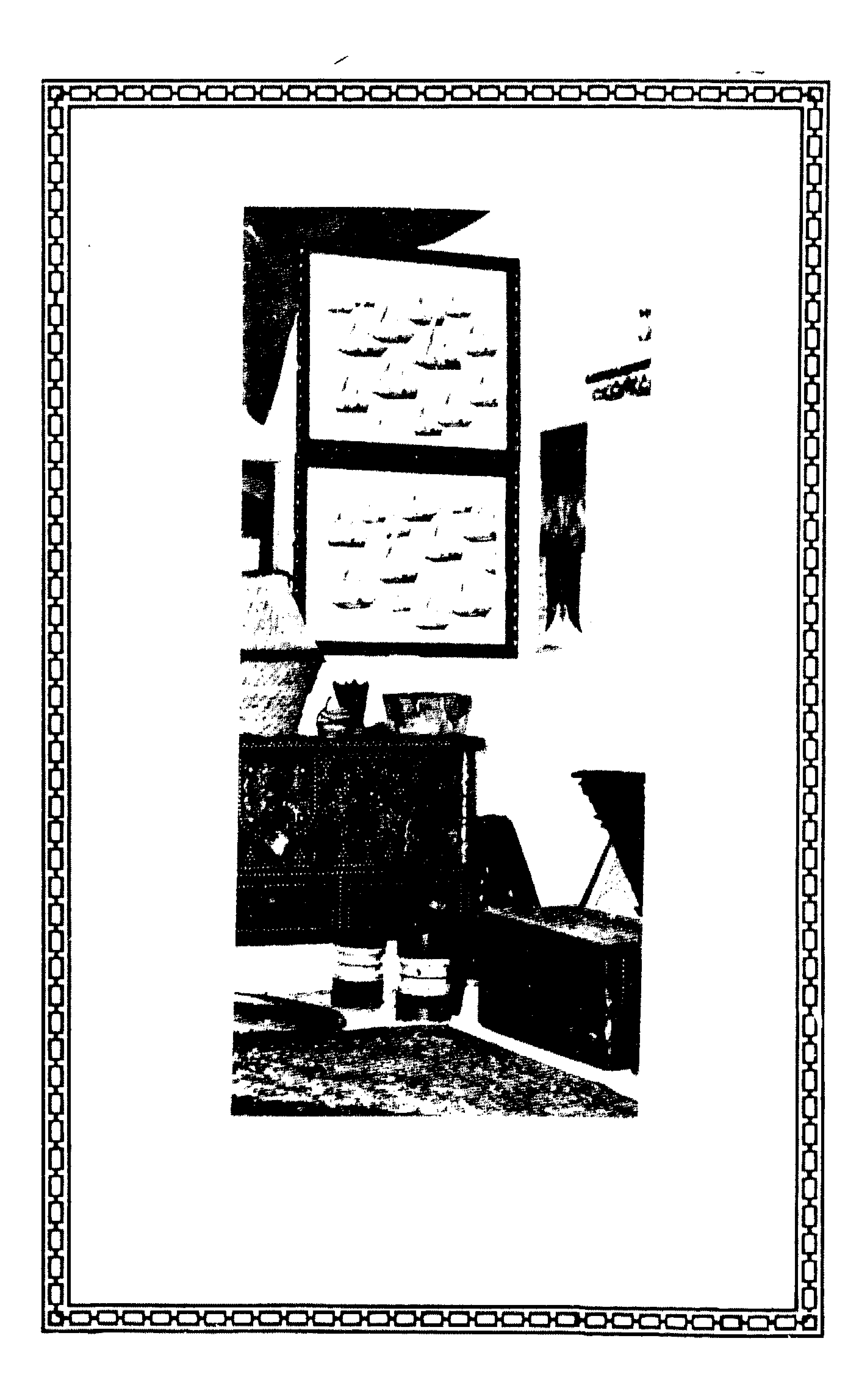
والقرّاءُ يعرفُون بلا شكّ أنَّ الأفلامَ السينمائيةَ الهنديةَ حقّقت نصراً كبيراً في ميدانِ الإنتاجِ والعرضِ السينمائيِّ ، وأصبحَتْ هذه الأفلامُ مُنافِساً خطيراً للأفلامِ الأمريكيةِ والإيطاليةِ والعربيةِ .

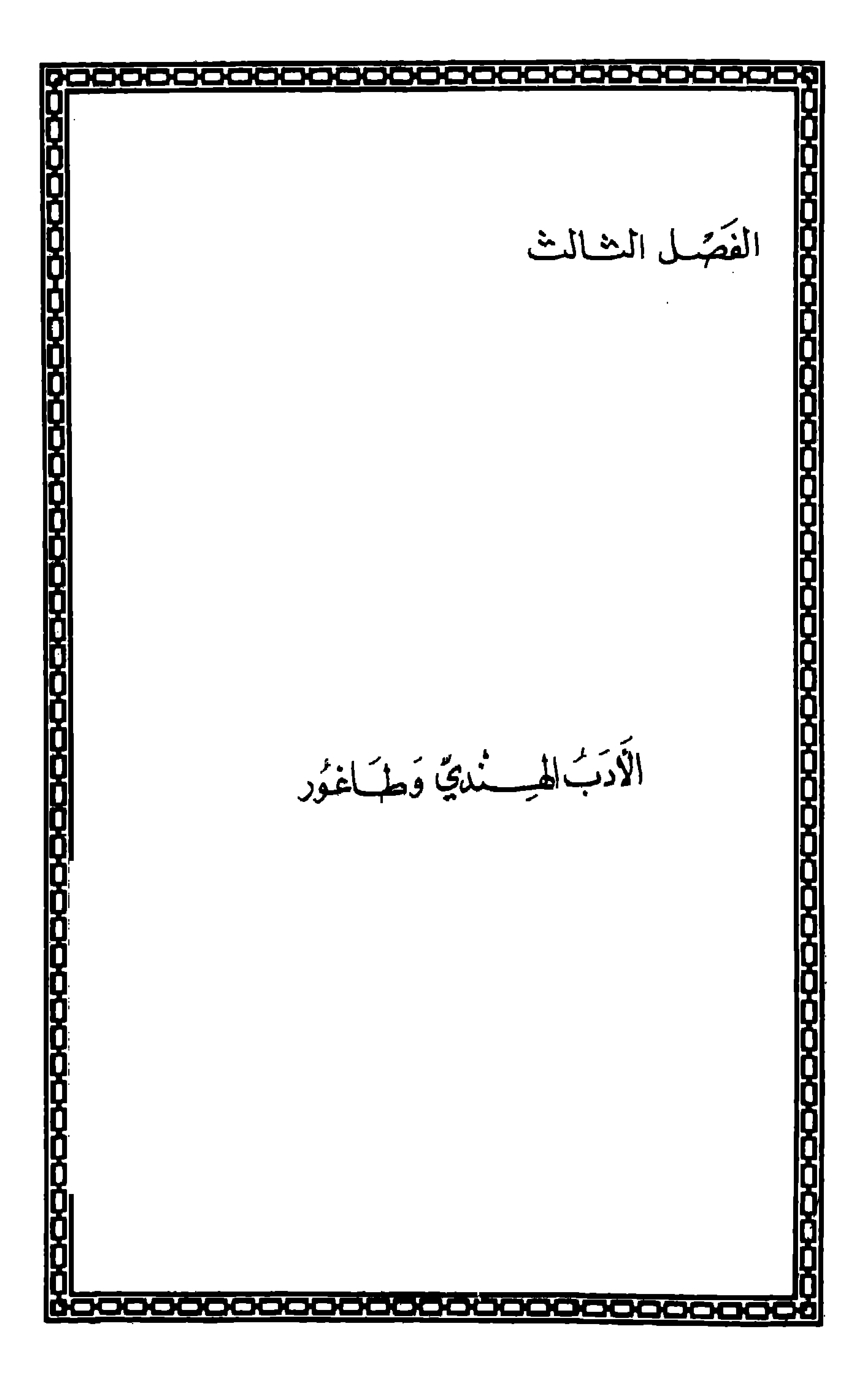
ونجاحُ الأفلامِ الهنديةِ يرجعُ إلى حدٍّ كبيرٍ إلى موسيقاها ، سواءٌ في ذلك الموسيقى التصويريَّة التي تصحبُ مختلفَ مشاهدِ الفيلم ، أم ألحان الأغاني أم موسيقى الرقصات .

والموسيقى المُصَاحِبةُ للأفلامِ السينمائية تحتاجُ في كثيرٍ من الأحيان إلى عددٍ كبيرٍ

من الآلاتِ الموسيقيَّة المختلفة لأَداءِ الأَلحان ، ورغْمَ ذلك فقد ظلَّ المخرجون السينمائيون الهنودُ مُحافظينَ على طابَعِ موسيقاهم ، فلم يَسْتعملوا أَيَّةَ آلةٍ من الآلاتِ الأَجنبيَّةِ كما فعل مؤلفُو الموسيقًى العَرَب ...

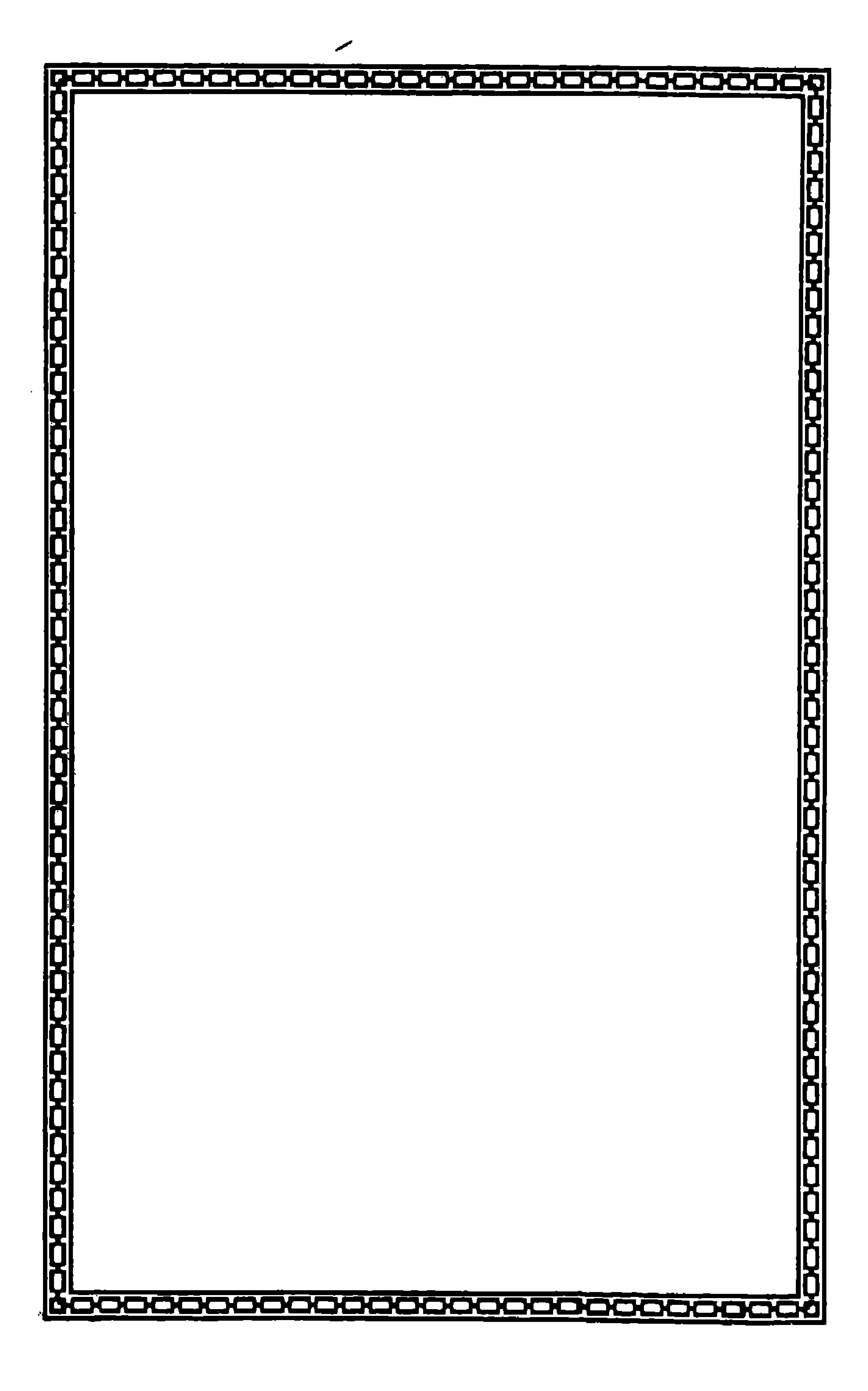






الفَصل الثالث

الأدَبُ الهِندِيّ وَطَاغُور



إنَّ لِلهندِ تاريخاً عريقاً في الفنُونِ والآداب .

لقد كشفَتِ الآثارُ التي عُثِرَ عليها عند حدودِ الباكِستان عن حضَارةٍ ناضجةٍ تَرجِعُ إلى سنة ٢٥٠٠ قبلَ الميلاد .

لقد وُجِدَت تَماثِيلُ وصورٌ منقوشةٌ على الحَجرِ تمثِّلُ حيواناتِ الهندِ المختلفةِ ، كالأَفيالِ والنُّمورِ والقِرَدَةِ ووحيدِ القَرنِ وغيرها . كما وُجِدت تماثيلُ وصورٌ للرجالِ وهم يَتعبَّدون .

وكانَ الفنُّ الهنديُّ - سواءٌ في النَّحتِ أَم الرسم - يتطوَّر عَبْر القُرونِ حتى بلغَ في القرنِ الثامِنِ الميلاديِّ درجةً متقدمةً ، كما يتضحُ من التماثيلِ واللوحاتِ العديدةِ التي عَثروا

عليها ، ومنها تماثيل (بوذا Buddha)
وتماثيل (شيڤا Shiva) التي بلغَتْ حدّاً كبيراً
من المهارةِ والإتْقان ...

ودخلَ الإسلامُ الهندَ فسيطرَ على شمالِ
شبْهِ القارَّةِ الهنديةِ . كما سيْطرَ على شرقِ
البنغال ، وابتدأَتِ الفنونُ الهنديةُ تتأَثَرُ
بالفنونِ الإسلاميَّةِ ، ولاسيما فيما يتعلَّقُ ـ
بالزَّخرفةِ والمباني ـ كالمساجِدِ ـ ذاتِ الطِّراز
الإسلاميِّ المعروف ...

وعلى الرغمِ من أَن الفنَّ الهنديَّ تأَثَّر
بالفنِّ الفارسِيِّ والفن الأَفغانيِّ،إلا أَن أَثرَ الفنِّ
الإسلاميِّ في الزخرفةِ والبناءِ كان غلاَّباً ، وقد
اتضحَ ذلك جليّاً في بعض المباني الرائعة كضريح
(تَاجْ مَحل) في (أَكرا Agra) الذي بُني في
القرن السابع عشر الميلادي .

ولم يكُنْ للمسلمين أَيُّ أَثرٍ يذكر على

فن النَّحت الهنديِّ ، إذ إنَّهم منذ أن حَرَّمَ الرسُولُ عليه وعلى آله الصلاةُ والسلامُ عبادةَ الأَصْنام أَو صناعَتَها ، تجنَّب الفنانُون المسلمون عملَ تمثالٍ لأَيٍّ شيءٍ حيٍّ . كما تجنَّب الرسامُون رسمَ الإِنسانِ والحيوانِ ، واقتصرت جهودُهم الفنِّيةُ على رسْمِ النَّباتاتِ والتَّفنُّنِ في إيجادِ وحداتٍ زُخرفيةٍ من أَوراقِ الشجر أَو الغصونِ أَو الفواكِه ، ووِحْداتٍ زُخرفية أُخرى من الأَشكالِ الهندسيَّة المنتظمة كالمربَّعاتِ والمخمساتِ والمسدساتِ والنجومِ والدوائِر وما إليها ...

ذلك فيما يتعلَّق ببعضِ الفنونِ الهنديَّةِ ، ذكرناه في كلمةٍ عابرةٍ سريعةٍ مركَّزةٍ إذ لا يسمحُ مجالُ هذا الكتابِ بالتوسُّعِ في هذا الأَمر .

أَما فيما يتعلقُ بالأَدبِ الهنديِّ وتطورِه

فالأَمرُ يختلفُ اختلافاً كبيراً عن تَطَوُّرِ الفنون .

لقد دَرس (رابندرانات طاغور)، منذ صِغَرِه تاريخَ الأَدبِ الهنديِّ ،وقرأَ الكثيرَ مِن كُتبهِ سواءٌ منها ما يتعلق بالشعرِ أَم بالقصةِ أَم بالأَساطيرِ الهنديَّةِ القديمة .

ومثلُ هذه الدراسةِ ليست بالأَمرِ السهلِ أَو الميسور ، وهي تَدُلُّ على ما كان يتحلَّى به (طاغُور) من قوَّة إرادةٍ لا تلينُ وقُدرةٍ عجيبةٍ على المثَابرة ...

ولما كانَتْ عبقريةُ (طاغور) ـ كما قدَّمنا ـ شَمِلتْ آثارُها النثرَ والشعرَ والقصةَ والفلسفةَ والموسيقَى ، فيجدُر بنا أَن نُلْقِيَ نظراتٍ سريعةً على مفهومِ هذه الأُمورِ في الأَدبِ الهنديِّ القديمِ ، ومدى تأَثُّرِ مختلفِ فروعِ هذا الأَدبِ بوجهٍ عامٍ بالمجهوداتِ التي بَذَلها (رابندرانات طاغور) .

إن أكْثرَ عَقَبةٍ ، وأصْعَبَ عقبةٍ كانَتْ تصادِفُ الراغبين في دراسةِ الأدبِ الهنديِّ القديم كانَتِ اللغة ! ..

كانت الآدابُ الهنديةُ مكتوبةً بلغةٍ اسمُها اللغة (السانكريتيه Sankrit Language) وهـي اللغةُ الهنديَّةُ الفُصْحى .

وكانتْ هذه اللغَةُ صعبةً معقدةً أشدَّ التعقيدِ وقليلون هم الذين كانوا يُتقنُونَها قراءةً وكتابةً وكلاماً ...

وكانَ ـ وما زال ـ لكلِّ منطقةٍ في الهِندِ لغتُها الخاصَّةُ بها التي يحرِصُ أهلُها على الكتابةِ أو التحدُّثِ بها دون سِواها .

وأكثرَ ما يَعتزُّ به الأدبُ الهنديُّ القديم عشرةُ مجلدات ضخمة تضمُّ ألفاً وثمانيةً وعشرين عملاً أدبياً من الأساطِيرِ وقصائِدِ الشعرِ والقصصِ القصيرة مكتوبةً باللغة السانكريتية .

ويقولُ المؤلف (ا . ب . كيت A.B. Keith)
في كتابِه المسمّى : (تاريخ اللغةِ السانكريتية الأَدبيَّة في النَّثرِ والشِّعرِ والدراما :

(History of Sankrit literature : prose, poetry and Drama)

يقولُ هذا المؤلِّفُ إن اللغَةَ (السانكريتية) انتقلَتْ إلى الهندِ مع القبائلِ الآريَّةِ التي هاجرت إليها من المناطِق الغربيةِ من آسيا الوسطى . وكانت هذه القبائلُ متأَثِّرةً بالحضارةِ اليونانيةِ القديمة ، ولذلك تُوجد أَوجُهُ شبه كثيرةٌ بين قصائد الشعرِ الموجودةِ في الأَدبِ الهنديِّ القديم ، وبين القصائدِ التي تَضَمَّنَتْهَا بعضُ الأَساطير الإِغريقيةُ ، ولاسيما تلك التي أَلَّفها الشاعرُ الإِغريقي (هوميروس) وانتشرَتِ انتشاراً كبيراً ...

أَما الفَلْسفَةُ الهنديَّةُ القديمةُ ، فكانَ (رابندرانات طاغور) يَدْرسُها في مجموعةِ كتبٍ

تُسَمّى (ساتاباتا براهمانا Satapatha Brahmana)
ومجموعة ثانية اسمها (شاندوجيا أبيانيشاز) Chandogya Upanishads كما دَرَسَ مجموعةً ثالثةً من الكتبِ الفلسفيةِ لها قيمتها الكبيرةُ لدَي رجالِ الفِكر الهنُود ، واسم هذه المجموعة:
(برادارانايكا ــ Brhadaranyaka)

ويقُول طاغور :

« إن دراسَةَ الفلسفَةِ وحدَها والتعمُّقَ فيها ، لا تجعلُ من الإنسانِ رجلاً فاضلاً ، ولذلكَ فإنَّ وَالدي أَصرَّ عليَّ ان أَدْرُسَ أيضاً : (أدب الساترا Sutra Litterature) فَدَرَسْتُهُ بطبيعةِ الحال».

وأَدبُ (الساترا) هذا نوعٌ من الآدابِ الهنديةِ ويرتكِزُ على شرْحِ المبادىء الإنسانيةِ الساميةِ ورسْم طريقِ الحياةِ الشريفةِ أمام الإنسانِ وتقويةِ معنوياتِهِ وإيمانِهِ بالرسالةِ التي آلَى على نَفْسِهِ أَنْ يُؤَدِّيَها في حياتِه ...

وأدبُ (المماترا) أيضاً هو الذي استُمِدَّتْ مِن مَبادئِه نصوصُ القانُونِ الهنديِّ القديم الذي عُرِفَ باسم قانون « مانو Law of Manu »

واستُمِدَّتْ من هذا الأدب علومٌ وفنونٌ كثيرةٌ ، فالكتابُ الهنديُّ القديمُ المسمى (فن الحب والسعادة) (The art of love and Rappiness) واسمه بالهندية القديمة (كامـاشاسترا Kamashastra) استُمِدَّ أيضاً من أدبِ السّاتْرا ، وكذلك (فن السياسة والقوة) وعددٌ آخرُ من الكتبِ والمؤلّفاتِ المختلفة .

كان (رابندرانات طاغور) يقرأُ كلَّ ما يقعُ تحت يدهِ من كتبٍ في شَغَفٍ وتعمُّق ...

ولكن القراءَةَ وحدَها لا تكونُ سبباً في العبقريةِ الخلاّقةِ في ميادين الأدبِ المختلفةِ ، فقد يقرأُ الإنسانُ كثيراً . لكنه لا يَستوعِبُ مِمَّا يقرأُه إلاَّ القليل ، وقد يَستوعِبُ بعضُ

الناسِ ما يقرأونه من كتاباتٍ ومع ذلك تظلّ قدراتُهم الذِّهنِيَّةُ محَّددةً ومقصورةً على المعلوماتِ التي يعرفُونها من هَذِهِ القراءاتِ ولا تكون لديهم القدرةُ على الخَلْقِ والإبْداعِ والابتكارِ فيما وراءَ تلك الحدود .

وقد شبَّهَ (طاغور) في كتابِه المسمَّى : (قطافُ الفاكهة Fruit Gathering) عملَ الأديبِ المبتكَرِ بعملِ النحلةِ .

إن النَّحْلةَ ـ كما قال (رابندرانات طاغور) تطوفُ بمختلفِ ألوانِ الزهورِ وتمتصُّ رحيقَها ، وقد يكونُ بين رحيقِ بعض هذه الزهورِ ما هُوَ شديد المرارةِ في مذاقِه ، ولكنَّها لا تلبثُ أَن تُحوِّلَ كلَّ ذلك إلى شَهْدٍ حُلوٍ عَذْبِ المَذاقِ لا عَلاقَةَ لَهُ إطلاقاً بمذاقِ ذلِكَ الرحيق الذي امتصَّتْه مِن كلِّ زهْرة ...

وما قَاله (رابندرانات طاغور) عن تَشْبيه ما تقومُ به النحلةُ بعملِ الأَديب المبتكِر ، لا يمنعُ من أنَّه هو نفسَه تأثر كثيراً بمبادىء الفلسفةِ الهنديةِ ، وأَنَّ هذا التأَثُّرَ انعكسَ بشكلٍ واضحٍ على العديدِ من مؤلَّفاتِه ...

والمعروفُ أَنَّ (طاغور) كان يكتُبُ مؤلفاتِه أولاً باللّغَةِ البنغاليةِ المبسَّطةِ التي تتخلَّلُها مقاطعُ سهلةٌ تكادُ تكون من اللغةِ العاميِّة . كما تتخلَّلُها كذلك مقاطعُ أُخرى كان يكتبُها باللغة (السانكريتية) ، أَي اللغة الهندية الفُصْحى ؛

وهِيَ المقاطعُ الشِّعريَّةُ سواءٌ أَكانَتْ قصائِد من الشِّعْر تتخلَّلُ الدراما ، أَم كانَت من الأَغاني التي يَضَعُ لَها بِنَفْسِه الأَلحانَ فيما بعد ، أَم كانت تعليقاتٍ يشرحُ فيها مَقاطعَ أُخرى كان قد كتَبَها باللغةِ المحلِّيةِ أَي اللغة البنغالية ...

والمعروفُ أن المؤلفاتِ التي كانَتْ تُكتَبُ باللغةِ الهندية الفُصحى (السانكريتيةِ) ، كانَتْ تَفقِد الكثيرَ من رونقِها إذا تُرجِمت إلى لغةٍ أُخرى ، سواء أكانت هذه اللغة من اللغاتِ الهندية المحلية أم كانَتِ الترجمةُ إلى لغة غَرْبية كاللغةِ الفرنسية أو اللغةِ الإنجليزية .

ولا نتحدَّثُ هنا عن تَرجمة مؤلفــاتِ (رابندرانات طاغور) إلى اللغة العربيَّة ، إذ إن المؤلفين والمترجمين العربَ لم يهتمُّوا ـ للأسفِ الشديد ـ بأعمالِ ذلك العبقريِّ الفذّ . فلم يُفكِّروا في ترجمتها إلى اللغةِ العربية ، اللهم إلا كتاب (قربانُ الأَغاني) الذي ترجَمه إلى العربية الأَديبُ الأُستاذ (يوحنا قمير) .. وقد ترجَمَه من الإنجليزية ـ لا مِن الهندية ـ إلى العربية ...

وترجمةُ مؤلفاتِ (رابندرانات طاغور)

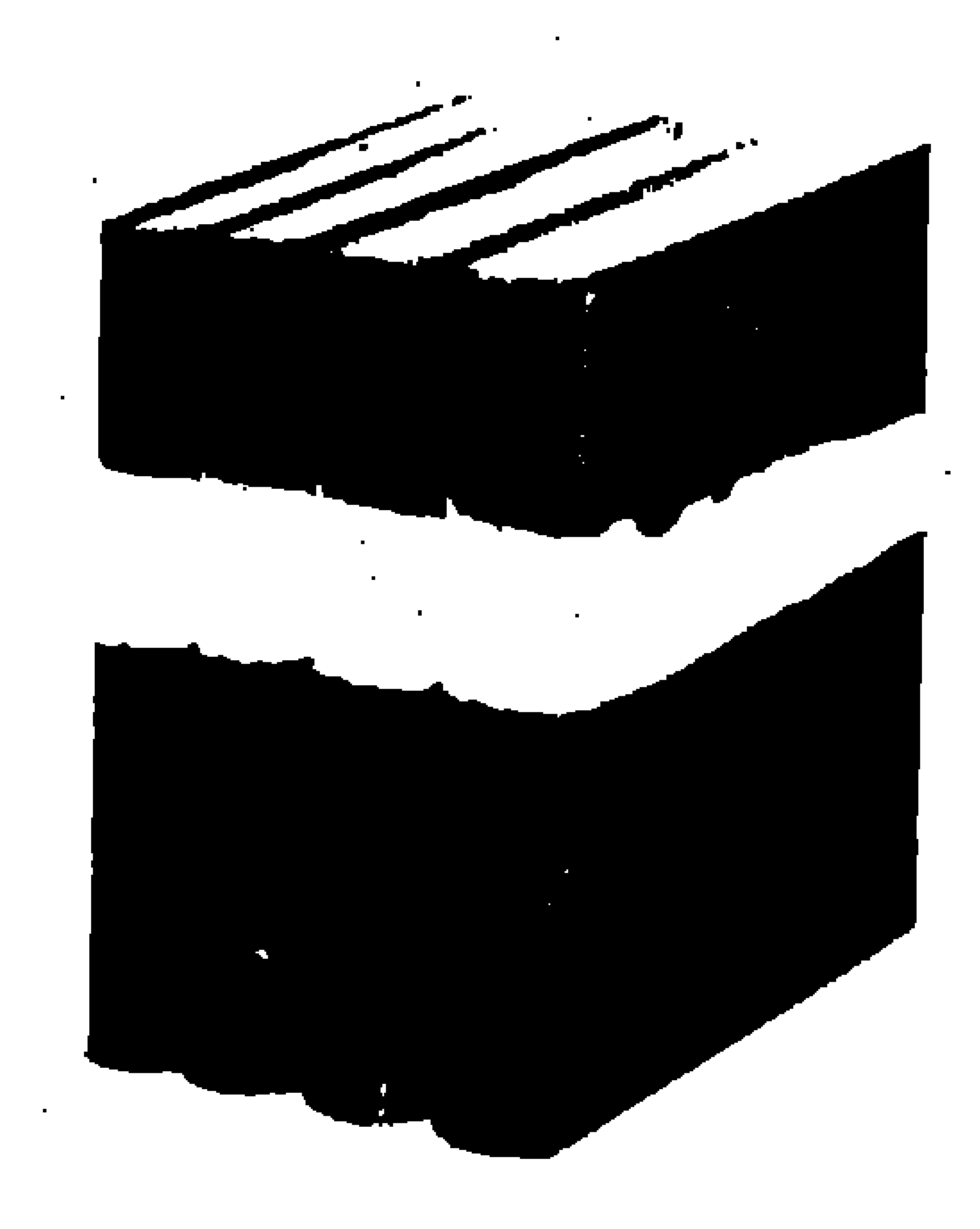
من الإنجليزية إلى العربيَّة أَو أَيةِ لغة أُخرى من لُغاتِ العالم لا يُقلِّل من شأْنِها ولا يُخلُّ بأَمانةِ الترجمةِ - باعتبارِ أَن (طاغور) كَتَبها أَولاً باللغة الهنديِّة ، ثم تُرجِمت إلى الإنجليزية ثم تُترجم مرةً ثانيةً إلى لغة أُخرى ، فتحدثُ مباعداتٌ ومفارقاتٌ مقصودةٌ أَو غير مقصودةٍ عن الأَصل ، إذ إن التَرجمة عن التَّرجمةِ لا تكونُ بمثلِ دِقَّةِ التَّرجمة عن الأَصل -.

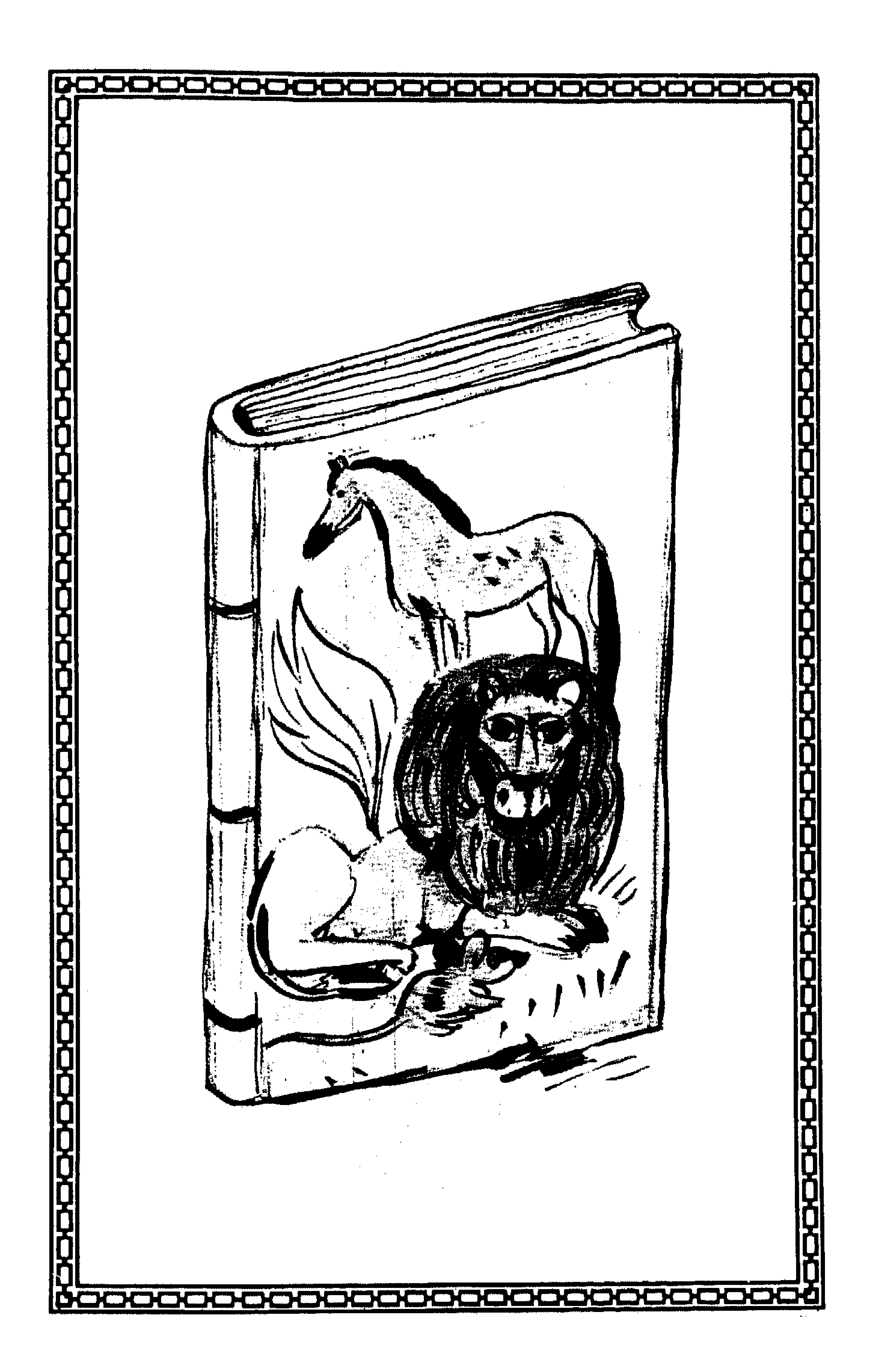
ولكنَّ ترجمةَ مؤلفاتِ (طاغور) عن اللغة الإنجليزية إلى أَيَّةِ لغة أُخرى لا تَنطبق عليها هذه القاعدة ، وذلِكَ لأَنَّ (رابندرانات طاغور) نفسَه هو الذي قَامَ بِترجَمةِ أَكثر من خَمسين كتاباً من مؤلفاتِهِ من اللغةِ الهنديْة إلى اللغةِ الإنجليزية التي كانَ قد دَرسها ودَرَس آدابَها وأَتْقَنَهَا إلى حدٍّ بعيد ...

لقد حرِص (طاغور) عند ترجمةِ مؤلفاتِهِ

إلى اللغةِ الإنجليزية على أن تكونَ ترجمتُه دقيقة ...

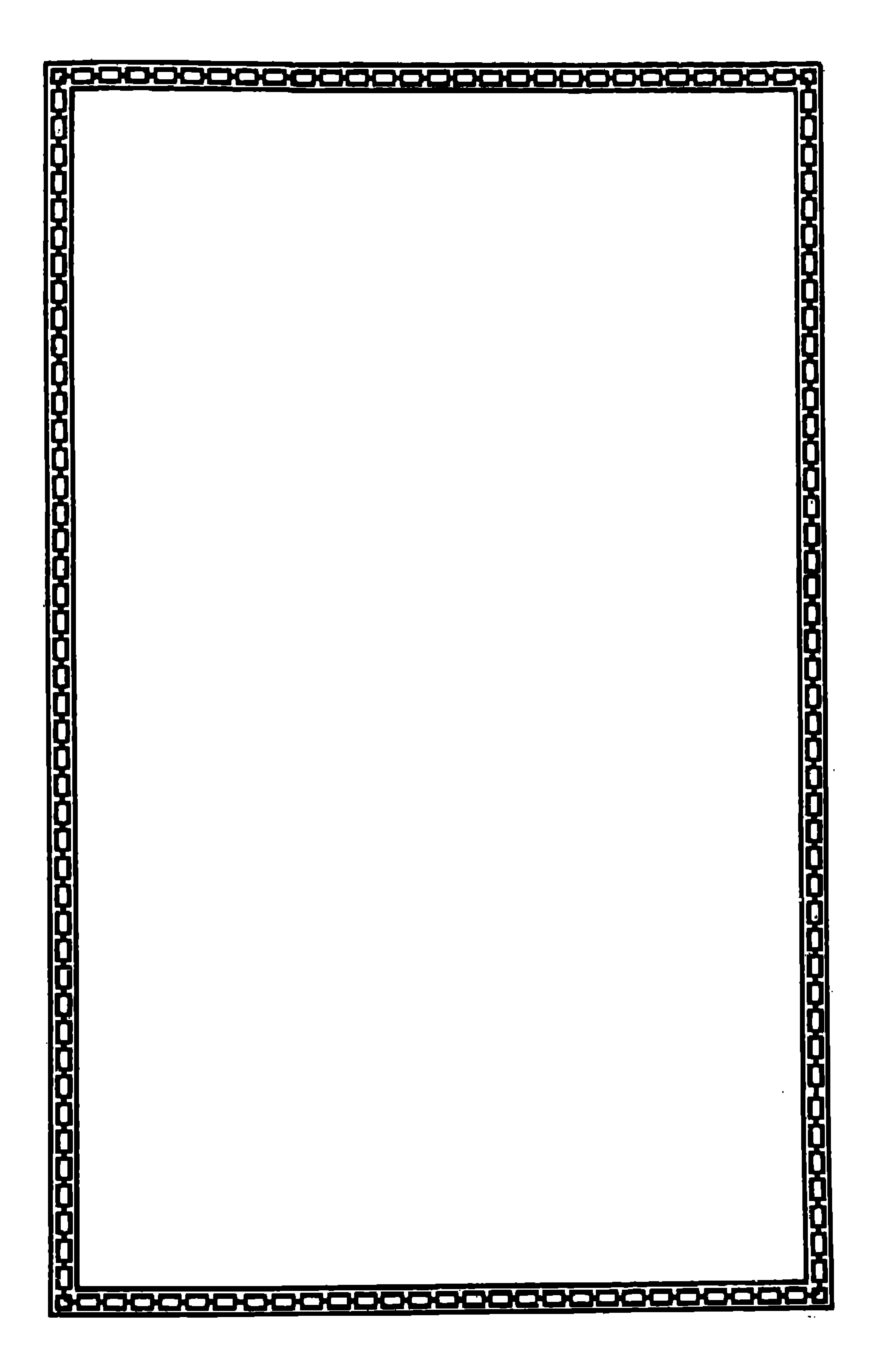
ولكنه قَالَ في مُقدِّمةِ الطبعةِ الثانية من قِصَّتِهِ الفلسفية التي أَطلق عليها اسم (الصخور الجائعة The Hungry Stones) إن بعضَ القوافي التي تتضمَّنُها أَشعارُه من المستحيل ترجمتُها ترجمةً حرفيةً تُؤدِّي نفسَ المعنى ، ويكون لها في نفسِ الوَقتِ ، الوزنُ والإيقاعُ والرَّنينُ اللفظيُّ الذي يتوافرُ في اللغةِ الهنديةِ سواءٌ أَكانت بنغاليَّة أَم سانكريتية ...





الفصل الرابع

طاغور والدراما الرمزية



الدّراما الرمزيَّةُ هِيَ التي تَهدِفُ إلى التّركيزِ على مَبدإٍ أو مبادىءَ معينةٍ بِغضِّ النَظرِ عن شخصياتِ الدراما .

ولقد تعرّض كثيرُون من النقَّادِ الفنيّين والأَدبيّين لبحث موضوعِ الدراما الرمزيَّة في الأَدبِ الهنديِّ القديم ...

ولم يهتم هؤلاءُ النقادُ بالدراما الهِنديَّة القديمة إلا بعد أَن فَازَ (رابندرانات طاغور) بجائزة (نوبل) في الآدابِ ، فَلفَتَ بذلك أَنظارَ الأُدباءِ والفنّانين في العالَم المُتمدين كلِّه إلى الآدابِ والفنونِ الهندية ، وكثُرت المؤلفاتُ عن الآدابِ الهنديةِ القديمةِ ، وفترةِ

الانتقالِ التي مرَّتْ بها ، وما تطوَّرت إليه في العَصْرِ الحديثِ بفضلِ الجهود التي بَذَلهـا (رابندرانات طاغور) وطائفَةٌ أُخرى من أُدباءِ الهندِ الذين أَسْهموا مَعه وَمَعَ زعيمِ الهندِ الراحلِ (المهاتما موهنداس غانديِ) في إذْكاءِ الرُّوحِ الوطنيةِ في الهنودِ ، وإشعالِ جَذْوةِ حماسِهم التي انتهتْ بطرْدِ المستعمرين الانجليز منَ الهندِ ، وحصولِها على استقلالِها ، وإن كانَ (طاغور) لم يَعِشْ حتى يعاصِرَ عَهْدَ الاستِقْلال .

* * *

يقولُ المؤلفُ والناقدُ (ا . ب . كيث) في كتابِه الذي أَسماه : « تاريخ الأَدبِ الهندي History of Indian Litterature » إنَّ شخصياتِ الدرامـا سواءٌ في أَعمالِ (طاغور) أَم في الدرامـا الهنديةِ الكلاسيكية ، لا يُقصد

بها أن تكونَ من لحمٍ ودمٍ ، ولكنها رموزٌ لِفكرةٍ عاطفيةٍ ، وأن الدراما (السانكريتية) تتكوَّنُ من سِلْسِلَةٍ من الأَشعارِ التي تُجمَّلُ بالرَّقصِ وترتبِطُ بخيطٍ قصصيٍّ له أهميةٌ ثانوية » .

وهذا هو نصٌّ ما قالَه ذلك الناقد الفنيّ :

« The charecters of the drama-either in the works of Tagore, or in the classical works, are not meant to be flesh and blood, but symbols of an emotioned concept The Sankrit drama consists of a series of poems embellished by the dance and connected by a narrative thread of secondary importance. »

* * *

إن علاجَ بعضِ الموضوعاتِ بالطريقـــةِ الرمزيَّةِ يكونُ في كثيرٍ من الأَحيانِ أَبلغَ أَثراً من علاجِها بالطريقة الصريحةِ أَو بالطريقة المباشِرةِ ومدرسةُ الرمزيةِ ليست مقصورة على

الدراما أو الشعرِ ، ولكنها شَمِلَتْ أيضاً فنَّ الرَّسْم ، كما يحاولُ البعضُ أن يبتكرَ لوناً من الموسيقى الرمزيةِ الحديثة ، واتُّبِعت أيضاً في بعضِ الأفلامِ السِّينمائية .

وكانت الرموزُ في المؤلَّفاتِ الهنديَّةِ القديمةِ صعبةً جداً وبالغةَ التعقيدِ لا تَفْهمُ معانِيها إلا القِلَّة ، ولِذَلِك كانَتْ هذه المؤلفاتُ تحتوي على شَرحٍ إضافيٍّ يُشْبِه إلى حدٍّ كبير نظامَ الهوامِش التي تُوجَدُ في الكثيرِ من كُتُبِنا العربيةِ القديمةِ التي تعالجُ الفلسفةَ والفِقهَ وعلومَ التفسيرِ وغير ذلك من العلومِ الأُخرى .

ولكنَّ (رابندرانات طاغور) حينما لجأَ إلى الرمزيَّةِ في بعضِ مؤلفاتِهِ وأَشعارِه ، تجنَّب بإصرارٍ وبِشَكْلٍ حاسمٍ تلك الرموزَ الصعبةَ المعقَّدةَ ، وكان يَعْمَدُ في الكثير من مؤلفاتِهِ – كما أَسْلفنا – إلى كتابةِ بعض مقاطِعِها

باللغة البنغالية السَّهلةِ الدارجة ، وذلِكَ لكي يُتيحَ الفرصةَ للخاصَّةِ والعامَّةِ كيْ يفهموا ويستَسيغوا ويَستوعبوا ما يهدفُ إليه ...

لقد قامَ (طاغور) بنفسِه بترجمةِ الكثير من قصصه ومسرحياته إلى اللغةِ الانجليزية ...

كما بذَل كلَّ ما في استطاعتِهِ لترجَمةِ أشعارِه أيضاً إلى اللغة الانجليزيَّة ، رغْمَ ما صَادفه في سبيلِ ذلك من صِعابٍ فيما يتعلَّقُ بالقوافي والرنينِ اللفظيِّ وما إلى ذلك مما تتطلَّبُه ترجَمةُ الشِّعرِ من لغةٍ إلى أُخرى ...

وكانَ لمؤلفاتِه التي ترجمها دَوِيٌّ عظيمٌ في جميع الأَوساطِ الأَدبية في العالَم ، لأَنهم وجدُوا فيها أَلواناً جديدةً على الأَدب العربيِّ في التشبيهاتِ والاستعارةِ . عَلاوةً على غَرابةِ دروب الخيالِ التي كان يَسْلِكُهَا طاغور .

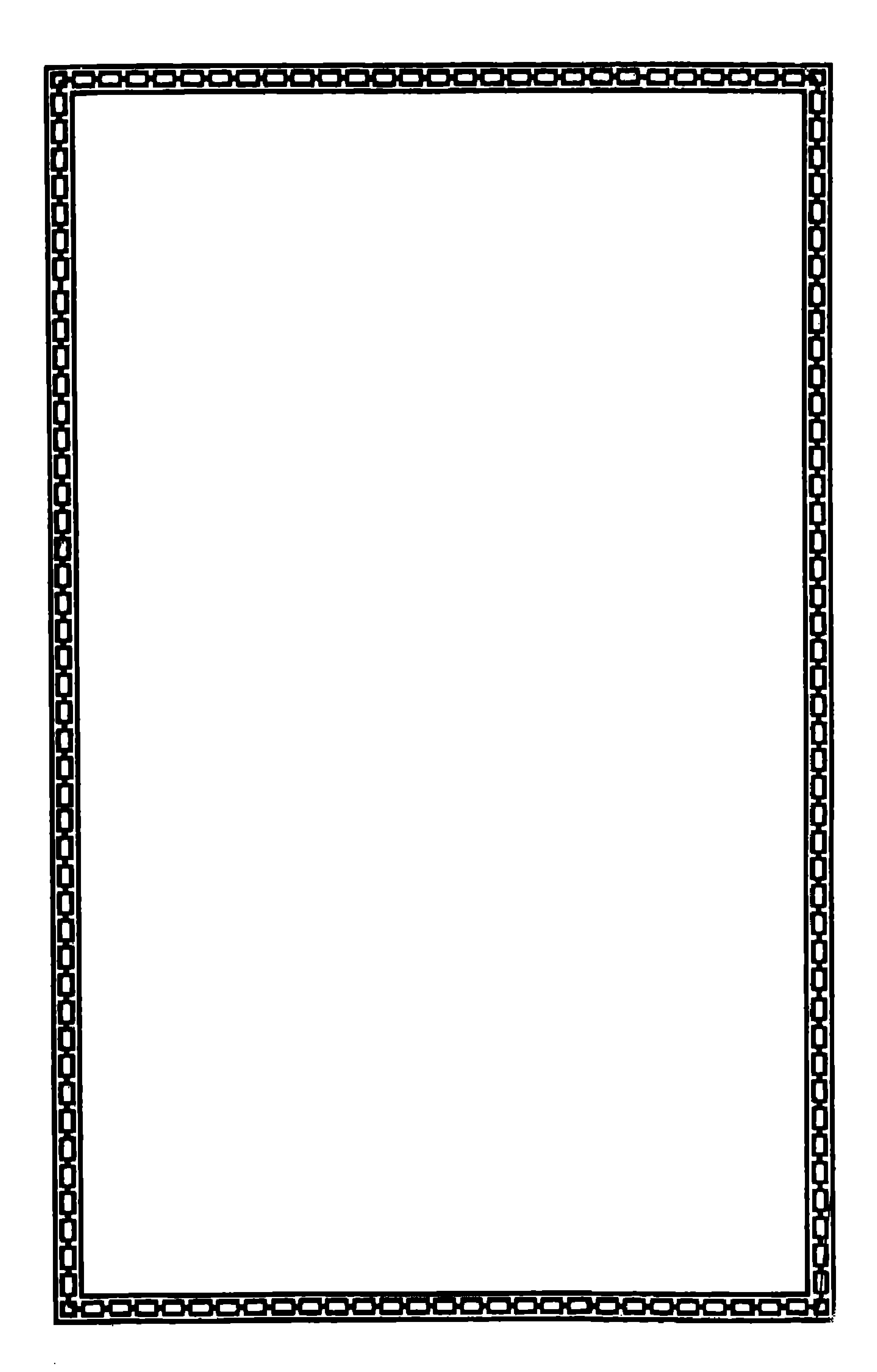
ومن أَشهر مؤلفات (طاغور) التي ترجَمَها

بنفسِه إلى اللغة الانجليزية (الصخورُ الجائعة) و (جَنْي أَو قطاف الفاكهة) وقد سبَق أَن أَلمحنا إليهما ... كما ترجم بنفسِه أَيضاً : (الوطنُ والعالم Home and the world) وقصةَ (جورا Gora) و (مجموعات من الاشعار والتمثيليات):(Collections of Poems and plays)وكتابه الكبير المسمى:(عقيدةُ الرجُل The Religion of Man)



الفَصْل الخَامس

طَاغورُ وَالفَيْلسوفُ الفَرَنْسيّ جَانْ بولْ سَارتر



إن من يدرُسُ تاريخَ حيـــاةِ العباقِرةِ والتطوُّراتِ التي يمرُّون بها ووسائلَ جهادِهم وَمَنَاحِي تفكيرِهم ، يجدُ كثيراً من أَوْجُهِ الشَّبْهِ بَينهم ...

وقد تَرْقَى أَوْجُهُ الشَّبَهِ هذه إلى درجةِ التَّطَابُقِ في أُمورٍ وأَحوالٍ كثيرة ...

من ذلك مثلاً أَن العباقرةَ بوجهٍ عام لا يهتمُّ الواحدُ منهم بمظهره وملبسِهِ وأَناقتِهِ ذلـك الاهتمامَ الذي نراهُ ونَلْمسَهُ في الرجالِ العاديين الذين يهتمون بالمظهرِ أَضعافَ أَضعافَ اهتمامِهم بالجوهر ...

وعلى الرغمِ من أَنَّ المرأَةَ بِحُكْمِ طبيعتها

وغريزتِها تميلُ إلى التَّأنُّقِ في ملبسِها ، إلا أنَّ النساءَ العبقرياتِ لا يَكْترثْنَ بذلك... ويَقْتصِرْنَ على الملابسِ البسيطة (١) .

كان (طاغور) لا يهتمُّ بملابِسه ، ولا بمظهرِه الخارجيِّ ، ولقد أَطلقَ شَعْرَ ذَقْنِهِ لا تظاهراً بالوَرَعِ والتُّقَى ولكِنْ لِكَرَاهِيتِّهِ أَن يَحلقَها بين آونةٍ وأُخرى ...

وكان أَشعثَ الشعر ، وهو في ذلك يُشْبِهُ العبقريَّ الأَمريكيَّ (أَبراهام لنكولن) (٢) وكلاًّ من أَينشتاين وبرناردشو .

وكان الفيلسوف الفَرنسي (جان بول سارتر Jean Paul Sartre) لا يُبالي بِملابِسِه

(١) راجع كتاب (السيدة كوري) ، (وكتاب) (هيلين كلر) من كتب سلسلة « عباقرة خالدون » لنفس المؤلف ونفس الناشر .

(٢) راجع كتاب (أبراهام لنكولن) أحد كتب سلسلة « عباقرة خالدون » لنفس المؤلف ونفس الناشر .

هو الآخر ... وقلما يصفِّف شَعرَهُ أو يُرسِلُ بملابسه إلى الكوّاء ! ..

وأوجـهُ الشَّبَهِ بين الفيلسوفِ الهنديِّ (رابندرانات طاغور) والفيلسوفِ الفرنسيِّ (جان بول سارتر) لا تقتصرُ فقط على إهمالِ كلٍّ منهما مظهرَهُ الخارجيَّ ... واهتمامِه باللُّبِّ دونَ القشورِ ... فهذا أمرٌ طبيعيٌّ وبديهيٌّ لدى كلِّ فيلسوف ...

ولكن المتعمقَ في أعمالِ وكتاباتِ كلٍّ منهما ، يجدُ التقاءًا بين أفكارِهما الرئيسيّة ، وتطابُقاً يكادُ يكون تاماً في نَظْرَتَيْهِما إلى الإِنْسَانِ والعلاقاتِ التي تربطُه بالمجتمعاتِ القريبة التي يَعيشُ فيها أو بالمجتمعِ الإنسانيِّ الذي يَشْغَلُ كَوْكَبَ الأَرضِ بوجْهٍ عام ...

كلاهما لا يُؤْمِنُ بالشُّعوبِيَّة أو بالتعصُّبِ الأَعمى للوطنِ وتفضيلِ جنسيَّةٍ على أُخرى ..

وهما في ذلك يُشْبهان عبقرياً ثالثاً هو الاسْكندر الأكبر أو الاسكندر المقدونيّ ، الذي قَضى حياته كلّها من أجلِ توحيد الجِنْسِ البشريِّ كلّه تحتَ لواءٍ واحد ...

وكانَ الاسكندرُ في ذلك مُتَشبعاً برُوحِ وآراءِ المعلِّم الأولِ الفيلسوف اليوناني (أرسطو)(١)

وغنيٌّ عن البيانِ أنَّ سيدَ المرسلين وامامَ العباقرة محمداً عليه وعلى آلهِ الصلاةُ والسلامَ نَادى بذلك وقالَ إنَّه لا فَضْلَ لعربيٌّ على أعجميٍّ إلا بالتَّقوى ...

وهذه الروحُ الإنسانيةُ السامية تَجَلَّتْ بشكلٍ واضحٍ في جميعِ مؤلفاتِ (رابندرانات طاغور) التي سَبَقَ أن أشرْنا إليها ، كما تجلَّت أيضاً في عَـدَدٍ كبيرٍ من مؤلفاتِ

---

(١) راجع كتاب (الاسكندر الأكبر) أحد كتب سلسلة «عباقرة خالدون» لنفس المؤلف ونفس الناشر .

ومُحاضَراتِ الفيلسوفِ الفَرنسيِّ (جان بول سارتر) .

وأنجحُ مؤلفاتِ أو مسرحيات (جان بول سارتر) اتَّبعَ فيها الطريقةَ الرمزية ...

وكانت الرمزيَّةُ تَطْغَى حتَّى على عناوين تلك المؤلفات .

لقد أَطلق (سارتر) اسم (الذُّباب Les mouches) على قصَّة كبيرةٍ أَصدرها في سنة ١٩٤٣ ميلاديَّة ومُثِّلت على المسرح بعد ذلك مِئات المرات ...

وكان يرمزُ بالذُّبابِ إلى نئاتٍ كثيرةٍ من المجتمع الإنسانيِّ التي تَتَهافَتُ على الحَلوى كَمَا يَتَهَافَتُ الذبابُ على القاذُوراتِ ، وتَنقِلُ عَدْوى طباعِها هذهِ إلى الناسِ كما ينقِلُ الذبابُ عدوى مختلَفِ الأَمراضِ الخبيثة ...

ومن أَوجُهِ الشبهِ بين (سارتر) و (طاغور)

أَنَّ كِلَيْهِما كانَ يَرى في التَّدريسِ رسالةً إنسانيةً سامية ...

لقد لَبِث (سارتر) يعملُ مدرّساً حتى سنة ١٩٣٩ ميلاديّة ، وهي السنةُ التي أَصدرَ فيها روايتَهُ المعروفة باسم : (الجدار : Le Mur) ..

وروايةُ الجدارُ هي الأُخرى تَغْلِبُ فيها الصّبغةُ الرمزيَّةُ مثل روايته الذباب ... ومثلَ روايةِ (طاغور) التي أَشَرْنا إليها من قبل واسمها (الصخُور الجائِعة) ...

وقد اشتهرَ (جان بول سارتر) بأَنَّه فيلسوفُ الوجودِيَّة : (existentialism) .

ولكن فلسفةَ الوجوديَّةِ أَصابَها الكثيرُ مِنَ التشويهِ والتحريفِ في السنواتِ الأَخيرة ...

وقد ادّعى الكثيرون ممَّن شَوَّهُوا (الوجودية) أنهم استَقُوا آراءهم من (جان بولِ سارتر) وظلمُوه بذلِكَ الادِّعاء بطبيعةِ الحال ...

وأكثرُ الذين شَوَّهُوا الوجوديةَ هم هؤلاء الذينَ نادُوا بتجرُّد الإنسانِ من كلِّ قيودٍ يفرضُها المجتمعُ ، حتى القيود الأَخلاقيّـة والدينيّة ...

وكان منهم تلك الطُّغمة التي تُسمّي نفسَها بالخنافِس والطغمة الأُخرى التي تسمّي نفسَها بالهيبيز .

وما دَعا إليه (سارتر) في كتاباتِه من تحرُّرِ الكائن البشريِّ من القيودِ المصطنعة التي تُفْرَض عليه ، هو نفسُ ما دعَا إليه (رابندرانات طاغور) ، وهذه الدعوةُ في جَوْهَرِهَا ومفهومِها لا تمتُّ بأيَّةِ صلةٍ للمبادىء الهدّامةِ التي رَوَّج لها أَنصارُ حريةِ الخنافسِ والهيبيز وغيرِهم من دعاةِ الانحلال الخُلُقي ...

وفارقٌ كبيرٌ بين فيلسوفٍ أو كاتب يُطلِقْ شَعْرَ ذَقْنِهِ أو شعرَ رأسهِ لعدم تقيُّدِهِ بالمظاهر ،

وشاب رَقيع يُطلق شَعرَ رأسِهِ متهدلاً كالنساءِ ويُصفِّفُه ويُغْرِقُهُ بالعطْر ، ويَرتَدي من الملابسِ ما يَجعل الناظرُ إليه يقعُ في حيرةٍ من أمرِهِ ولا يدري إن كانَ ينظُرُ إلى شابٍّ أو إلى فتاة !؟

من أوجهِ الشبهِ بين (رابندرانات طاغور) و (جان بول سارتر) أنّ كليهما ظَفِر بجائزة (نوبل) للآداب .

وجوائزُ نوبل هِيَ الجوائز المالية الضخمة التي خصّصها أحدُ العباقرة الراحلين وهو الكيميائيُّ السويديُّ (الفريد برنار نوبل Alfred Bernard Nobel) الذي كوّن ثروةً أُسطوريةً من وراءِ اختراعه للبارودِ وأنواعٍ أُخرى من المتفجِّراتِ ، وقبلَ موتِه أَحسَّ بتأنيبِ ضميره لأَنه سَبَّبَ في قتلِ مئاتِ الآلافِ من الناس بعد اختراع المتفجراتِ واستعمالها

في الحروبِ ، فَرَصَدَ جميعَ ثَرْوَتِهِ لِتَخْصيصِ جوائِزَ تُمنحُ لكلٍّ مَن يأْتي بجديدٍ في العلومِ والآدابِ يكونُ من شأنِه زيادةُ رفاهيةِ الإنسانيةِ والعملِ على توطيدِ أركانِ السَّلام .

وقيلَ إن السَّبَبَ فيمَا فعله (الفريد نوبل) من تخصيص ثروتِه لهذه الجوائز أنه أَحبَّ سكرتيرتَه ولكنَّها رفَضَتِ الزواجَ منه وصارَحَتْه بأَنها تعتبرُهُ عدوَّ البشرية بعد اختراعه المتفجِّرات (١) .

لقد فازَ (رابندرانات طاغور) بجائزةِ نوبل للآدابِ وذلِكَ في سنة ١٩١٣ ميلادية ...

أَما الفيلسوفُ الفَرنسيُّ (جان بول سار تر) فقد فَازَ بهذه الجائزة في سنة ١٩٦٤ ميلادية ..

ولكن (سارتر) رغم فوزِهِ بالجائزةِ ،

---

(١) راجع كتاب (الفريد نوبل) احد كتب سلسلة (عباقرة خالدون) لنفس المؤلف ونفس الناشر ..

رفَضَ استلامَها ، وقال في أسباب هذا الرَّفض إن اللجنةَ التي تُشرف على توزيع جوائز (نوبل) لَيْست لجنةً عادلةً أو نزيهةً ، وأنها تُوزِّع هذه الجوائز وفقاً لأهواءٍ وتيارات خاصَّةً ، كما أن الاتّجاهاتِ السياسيةَ تلعبُ دوراً كبيراً في تعيينِ أسماءِ الفائزين ...

ولم يكُن (بول سارتر) أوّل من يرفُضُ هذه الجائزةَ الضخمَةَ لنفسِ تلك الأسبابِ التي ذكَرها ...

لقد رفَض استلامَ الجائزةِ قبل ذلك الدكتور (جيرار دوماج Gerhard Domagk) حينما فازَ بها سنَة ١٩٣٩ ميلادية تقديراً لبحوثه في الطبِّ والتشريح .

ورفَضَ استلامَها أيضاً لنفسِ الأسبابِ الكاتبُ والأديبُ(بوريس باسترناك Boris Pasternak حينما فاز بها سنة ١٩٥٨ ميلادية) .

وكما توجدُ ملامحُ متشابهةٌ بين (رابندرانات طاغور) و (جان بول سارتر) توجدُ أيضاً نفسُ الملامح المتشابهة بينهما وبين الكاتب العبقريّ (بوريس باسترناك) . وهو بِدَوْرِه يُعتبر بلا شكٍّ من عباقرةِ الأَدب الخالدين ..

لقد وُلد (باسترناك) في مدينة (موسكو) وتلقَّى علومَه في جامعتِها وفي جامعةِ (ماربورج Marburg) .

وابتدأَ (باسترناك) حياتَه الأَدبيَّةَ بكتابةِ الشعرِ كما فعل (طاغور) تماماً . وظهرتْ شاعريَّتُه في سنٍّ مُبكرةٍ كما ظهرتْ عند (طاغور) . فقد نَشر أَولَ قصائِدِه في سنة ١٩١٤ ميلادية وكان اسم هذه القصيدة : « أَنا ... توأَمُ السحاب ! » ..

ونَشر (باسترناك) قصصاً عديدة بعد ذلك كان يعالج فيها بطريقةٍ غيرِ مباشرةٍ .

بعضَ العيوبِ التي كان يُعاني منها المجتمعُ الروسيُ نتيجةَ تطبيقِ المبادىءِ الماركسيَّةِ ، وأشهرُ هذه القصص قصةٌ اسمُها : (الميلادُ الثاني) التي أصدرَها سنة ١٩٣٢ ميلادية ثم قصَّتُهُ التي أسماها (طريقُ السَّلامة) .

وكما اهتمَّ (طاغور) بتطعيمِ الأدبِ الهنديِّ بالآدابِ الأُخرى فقد قامَ بترجمةِ بعضِ القَصَصِ والأَشعارِ من اللغَةِ الانجليزيَّةِ إلى اللغة الهنديةِ ، اهتمّ (باسترناك) بذلك وقَضَى عَشْر سنوات طويلة (من سنة ١٩٣٣ حتى سنة ١٩٤٣) في ترجمة كلِّ أَشعار الشاعِر الانجليزيِّ (وليام شكسبير) وبعض الشعراء والكتابِ الآخرين من اللغة الانجليزية إلى اللغةِ الروسية ...

ولكن أَعظَمَ أَعمال (بوريس باسترناك) كانت بلاشكٍّ قصته التي ظفِرت بشهرةٍ عاليةٍ

ومُثِّلَت أكثرَ من مرةٍ في فيلمٍ سينمائي ، وهي القصة المعروفة باسم : (الدكتور زيفاجو : Doctor Zhivago) وقد قامَ أخيراً بأداءِ دورِ الدكتور (زيفاجو) الممثلُ العربيُّ المعروفُ (عمر الشريف) .

وتضمَّنَتْ هذه القصةُ - كمحاولاتِهِ السابقة - نقداً للنظامِ الماركسيِّ ، ولكنَّهُ انتقَدَ في نفسِ الوقتِ المجتمعات التي تَتَحكَّم فيها الرأسماليةُ تحكُّماً يقضي على العدالَةِ وحقِّ كلِّ إنسانٍ في حياة حرَّة كريمة ، ما دام هذا الإنسانُ يعمل بِصِدْقٍ وشَرَفٍ ، وِفقاً للمواهب التي يمتازُ بها ...

هذه القصةُ : (الدكتور زيفاجو) هِيَ التي جَعَلَت (بوريس باسترناك) يفوزُ بجائزةِ نوبل للآدابِ سنة ١٩٥٨ ميلادية .

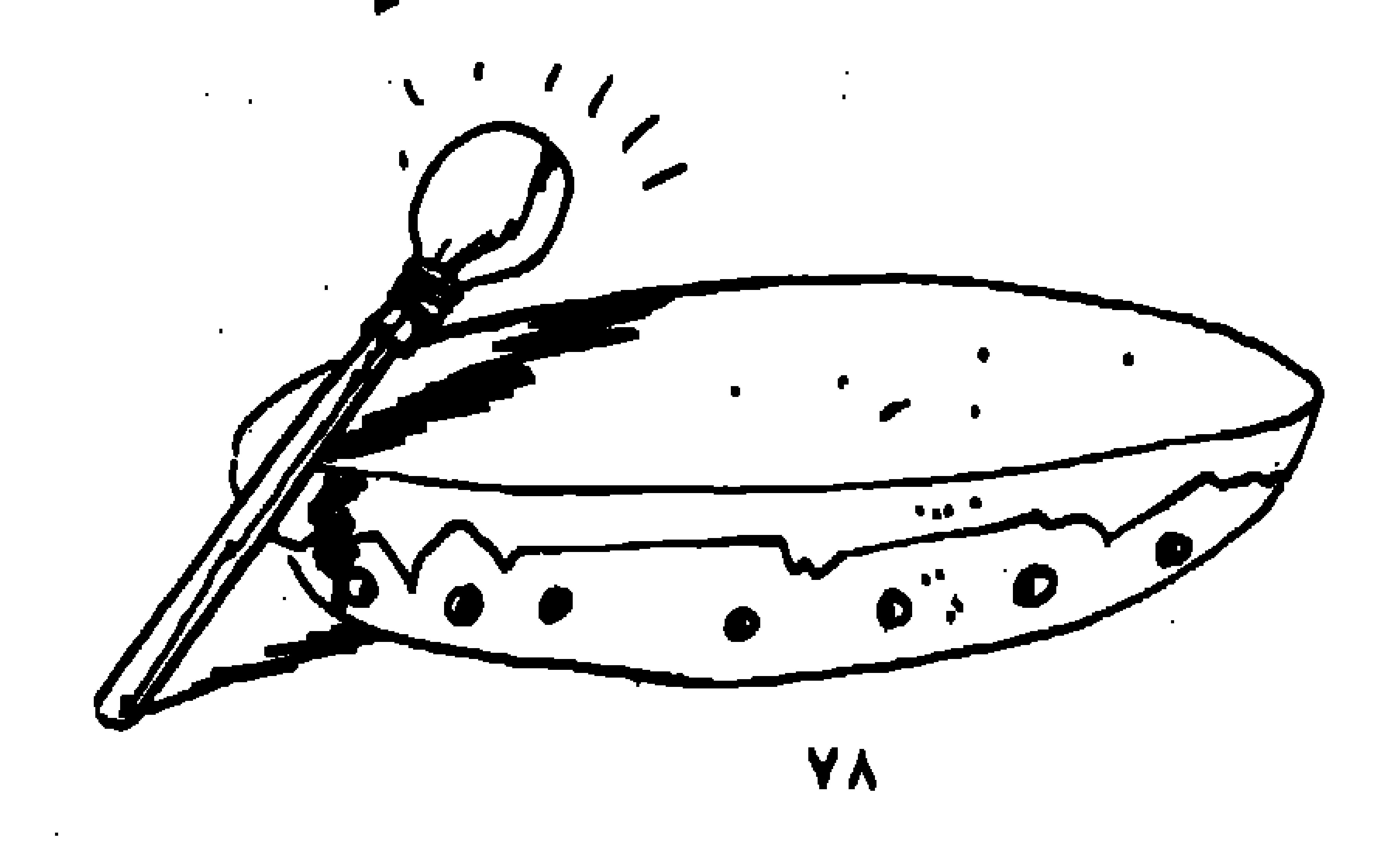
وقد رَفَضَ (باسترناك) أن يأْخُذَ الجائزةَ ..

وقال إن قصتَه فازَتْ لاعتبارات سياسيةٍ ، أَما كعمل أَدبيٍّ فإنه أَصْدَرَ من قبلُ قصصاً كثيرةً أَفضَل منها من الناحيةِ الأَدبيَّةِ والتحليليَّة .

وقد مات (بوريس باسترناك) سنة ١٩٦٠ ميلادية . ماتَ وهو ما زال مُصرّاً على رفضِ استلام الجائزة ! .

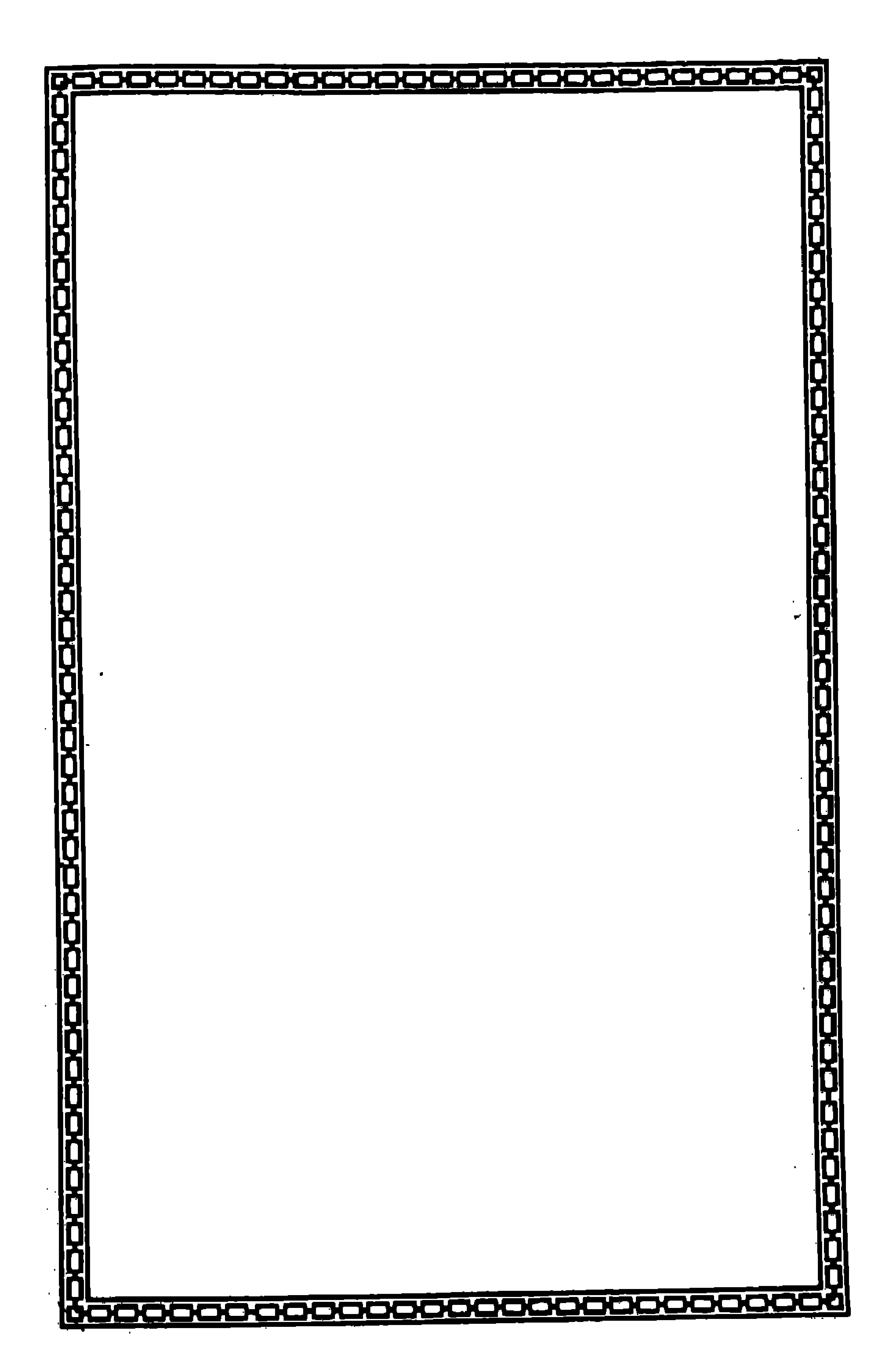
وكما كانَ كُلٌّ مِن (طاغور) و (سَارتر) يعتبران التدريسَ رسالةً ساميةً ، وكان (بوريس باسترناك) يقضي جانباً كبيراً من وقتِهِ في التّدريس ، وكثيراً ما كَانَ يُعطي دروساً خصوصيةً دون أَن يأْخُذَ عنها أَيَّ أَجرٍ ...

حقاً إنَّ العباقرةَ يتشابهُون في أُمورٍ كثيرة !.



الفصل السادس

طاغور والإسكندر الأكبر



كان الاسكندرُ الأكبر من الشخصياتِ التاريخيةِ التي أعْجِبَ بها رابندرانات طاغور إعجاباً كبيراً(١)..

وكان إعجابُ طاغور بالاسكندر من خلالِ إعجابِه بالفيلسوف الاغريقِيّ (أَرسطو)(٢)

كان والدُ (أرسطو) طبيباً وكانَ اسمُه (نيكوماكوس Nicomachus) ، وكانَ الطبيبَ الخاصَّ للملِك (فيليب الثاني) ملكِ مقدونيا ووالدِ الاسكندر الأكبر.

ولما ماتَ أبو (أَرسطو) جَعل الملكُ (فيليب

(١) راجع كتاب الاسكندر الأكبر احد كتب سلسلة « عباقرة خالدون » لنفس المؤلف ونفس الناشر.

(٢) راجع كتاب (أرسطو) أحد كتب سلسلة «عباقرة خالدون» لنفس المؤلف ونفس الناشر.

الثاني) من أَرسطو أُستاذاً لابنهِ الشابِّ الأَميرِ اسكندر الذي كانَ وَليّاً للعهد ...

ونشأَتْ علاقةٌ متينةٌ بينَ الاسكندر وأُستاذِه المعلِّم الأَولِ ، الفيلسوفِ أَرسطو ...

وتشبَّع الاسكندرُ الأَكبرُ بفلسفةِ أَرسطو ...

وكان (أَرسطو) بدورِه قد تشبَّع إلى حدٍّ كبيرٍ بآراءِ فلسفةِ (أَفلاطون) الذي رافَقَه قرابةَ عِشرينَ عاماً . وإن كان قد اختلفَ معه في أُمورٍ كثيرةٍ كما حَاول تبسيطَ بعضِ نظرياتِ أَفلاطونَ المعقَّدة ...

والذي يهمُّنا في هَذا الصددِ أَنَّ (أَرِسْطو) كان يُؤْمِن بوجود الله سبحانه وتعالى ، وَوَصفه بأَنَّه مُحَرِّك الكونِ الذي لا يُحرِّكه أَحدٌ (The unmoved mover) وأَنَّ وجودَه لازمٌ لوجودِ الكونِ ، فهو الذي يتحكَّمُ في حركةِ النجومِ والكواكبِ السيَّارةِ وروحُ الإِنسان قَبَسٌ من

روحِ الله تعالى ...

وكلُّ شَيءٍ في هَذَا الكون - كما يقولُ (أَرسطو) - يحتاجُ إلى شيءٍ أو علَّةٍ تكُونُ سبباً في وجودِهِ . وهذه النظريَّةُ تنطبق على أيِّ جُرْمٍ من الأَجرامِ السماويَّةِ مهما بَلَغَتْ عظمتُه ، ولكنَّها لا تنطبق أبداً على خالقِ هذا الكون الذي لم يخلُقْه أَحد .

وأَضْفى (أَرسطو) على اللهِ عزَّ وجلَّ كلَّ الصفاتِ العظيمةِ فهو العَدْلُ والحقُّ والرحمةُ والنورُ وهو الأَولُ والآخِرُ والقادِرُ على كلِّ شيء ....

لقد تشَبَّع الاسكندرُ الأَكبر بكلِّ هذِه الآراءِ وتحمَّس لها كلَّ التحمُّسِ ، وآلَى على نفسِهِ أَن ينشرَها - لا في شبْه الجزيرةِ اليونانيَّةِ فَحَسْب - بلْ في العالَمِ أَجمع ...

وكانَ مِنْ بين الآراءِ والنظريَّاتِ التي آمَن

بِها الاسكندر الأكبر إيماناً عميقاً ، أن جميعَ الناسِ بلا استثناءٍ سَواءٌ أمامَ الله سبحانه وتعالى ، بِغَضِّ النظرِ عن اختلافِ ألوانِهم ولُغاتِهم وجِنسِيّاتِهم ، ولا فَارِق عند الله تعالى بين إنسانٍ وآخرَ إلا بهذين الأمريْن :

الأَمرُ الأَول : أن يكونَ مؤمناً بوجود الله وبِقُدْرته .

الأَمر الثاني : أن يعملَ الخيرَ ويتحلّى بالصفاتِ النبيلة كالكَرَم والمروءةِ والشجاعةِ والصدقِ والأَمانةِ وأن يُحبَّ للغيرِ ما يُحبُّه لنفسه .

من هنا كان سَعيُ الاسكندر الأكبر لِتوْحِيد جميعِ الشعوبِ في البلادِ التي فَتَحَها ، فلما انتَصر على إمبراطُور فارس (داريا الثالث) ، تزوّج الاسكندرُ من ابنة الامبراطور التي وقعت أسيرةً في يَديْه ، ليَضرِبَ بذلك المثلَ الأَعلى

لضباطِهِ وجنودِهِ في الشهامةِ والإنسانيةِ . إذْ كانَ في مقدورِه أن يجعلَ من الأَميرةِ الفارسيَّة الحسناء جاريةً له بعد أن وَقعتْ في الأَسْر . وذلِك وفقاً لتقالِيد الحروبِ في تلك الحِقبة ...

كما أَمر الاسكندر ضبَّاطَه وجنودَه بالزواجِ من النِّساء الفارسيَّاتِ حتى يَدمُجَ شُعوبَ آسيا بشعوب أُوروبا .

وفتَح الاسكندر الهندَ كما هو معروفٌ ... فلما دانَتْ له حَرَصَ على تنفيذِ أَهدافِه السامِية . واكتشف الخليجَ العربيَّ ليجعلَ من موانئِهِ مراكزَ تجاريةً تربِطُ بين الشَّرق والغرب ...

وترك الاسكندرُ الأَكبر في تاريخِ الهند صفحاتٍ عاطرةً ، وكتب عنه عددٌ كبيرٌ من المؤلفين والشعراء الهنُود ، ورفعه بعضُهم إلى درجاتِ القدِّيسين والرُّسُل .

قرأ(طاغور)كل ما يتعلَّقُ بالإسكندرِالأَكبر.

وقرأ أيضاً كلَّ ما يتعلقُ بفلسفةِ (أرسطو) وفلسفةِ (أفلاطون) وأشعارَ وروايات الشاعر اليونانيِّ القديمِ (هوميروس) ... وكانَ الشاعر المفضَّلُ لَدى الاسكندر الأكبر ...

***

وفي سنةِ ١٩٠١ ميلاديّة بلَغ (طاغور) الأربعينَ من عمرِه أي أنَّه ـ كما يقولُ الحكماء ـ دخلَ في سنِّ النضوجِ ، وأصبحَ رجلاً يتعيّنُ عليه أن يُؤَدِّيَ رسالةً هامةً في الحياة ...

واختار (طاغور) رسَالتَه ...

كانَت الرسالةُ المحبَّبةُ إلى نفسِه وإلى نفوسِ عددٍ كبير غيره من العباقرة ...

كانت الرسالةُ التي اختَارها هي التَّدريس ..

وأسَّسَ (رابندرانات طاغور) مدرسةً على أطرافِ غابةٍ في مقاطعةِ البنغال ، وفي منطقةٍ

تبعُدُ عن مدينة (كَلْكَتّا) بحوالي مائة ميل ...

لقد أطلقَ (طاغور) على هذه المدرسةِ اسماً يدلُّ على نزعاتِهِ النفسيَّة وحبِّه للهدوء . واعتقادِه بأَن الجهلَ وحدَه يُورِثُ في الإِنسانِ الحَيْرةَ والقَلَقَ النفسيَّ ، ويَدْفَعُهُ إلى ارتكابِ أَخطاءٍ عديدةٍ في حياتِهِ ، أَما العِلْمُ فهو الباعثُ الأَولُ على الاستِقْرَارِ والهدوءِ والسَّلام ...

لقد أَطلقَ (طاغور) على مدرستِه هذِه اسمَ (مقرّ السلام) .

وكتَب الاسمَ على واجهةِ المدرسةِ في لافِتَتين كبيرتين ... كتب على إحديْهما الاسْمَ باللُّغة الهندية وهو : « Santiniketan »

وكتب على الأُخرى باللغة الانجليزية :

« Abode of Peace »

وكان (طاغور) قد اختارَ موقعَ مدرستِهِ هذه بَعدَ بحثٍ طويلٍ ، وتعمَّدَ بناءَها على

مقربةٍ من الغابةِ ليتلَقّى التلاميذ جانباً كبيراً
من دُرُوسِهم في الهواءِ الطلقِ فلا يشعرون أَنَّهُمْ
مُقَيَّدون داخلَ جدرانِ الفصول المدرسية ...

هذا من نَاحيةٍ ، ومن ناحيةٍ أُخرى كانت
الدروسُ النظريَّةُ تُقْرَنُ برحَلاتٍ عمليةٍ داخلَ
الغابةِ ، فيدرُسُ التلميذُ على الطبيعة مختلفَ
أَنواعِ النباتاتِ والأَشجار ، كما يَدْرُسُ طباعَ
الطيُورِ ، اختلافَ كلِّ طيرٍ منها في طريقة بناء
عُشِّه ...

وكـانت تتخلَّلُ تلك الرحلاتِ بعضُ
العباراتِ التي تُعتَبَرُ مِنَ الحِكَم الخالدةِ لطاغور ..

كانَ يقُول لتَلاميذِهِ مثلاً وهو يُشير إلى
بعض الطيور التي تلتقِطُ طعامَها بمناقيرِها ثم
تُولِّي طائرةً حين تراهم :

« إن الله يَرْزُقُ كلَّ مخلوق ، فما مِن
مخلوق على الأَرض إلاَّ وله طعامُهُ ، إن الله

يرزقُ هذه الطيور ، ولكنَّه لا يُلقي لها بأَرزاقِهَا في عُشُوشِها ، إذ يجبُ عليها أَن تَجِدَّ وتَسْعَى للبحث عن الرزق ، فإذا سَعَت فإنها لا مَحَالةَ واجِدَةٌ رزقها ، لذلك يجبُ عليكم أَن تجتهدوا وتَسْعَوْا حتى تَنَالُوا حظاً طيباً مِنَ الحياة ... »

ومنْ أَقوالِ (طاغور) الرائعةِ ما قاله يوماً لتلاميذه وهو يسير معهم في الغابَةِ ، فرأى عُشّاً لأَحدِ العصافيرِ الصغيرة وقد بُني هذا العشُّ بطريقةٍ عجيبة ، إذ إنَّه كان يتدلَّى من أَحدِ أَغصانِ شجرةٍ وقد ثُبِّت في ذلك الغُصْنِ بثلاثةِ خيوطٍ طويلةٍ ، وكانَتْ أَفراخُ الطير ترقُدُ في العُشِّ وتتحرك ومع ذلك لا يَميلُ بها يَمْنةً ولا يَسْرَة ...

قال (طاغور) وهو يَلفتُ نظرَ تلاميذِه إلى ذلك العُشِّ المعلَّق العجيب :

ـ « إنَّ هذا الطائرَ يعيشُ في منطقةٍ تكثرُ

فيها الثعابين الصغيرةُ ، وهي مُغْرمة بالتهامِ بيض الطيور وصِغارِ أَفْراخِها ، ولا سَبيلَ إلى تَجنُّبِ خَطَرِها إلا بِبِنَاءِ العُشِّ بهذه الطريقة الهندسيةِ الرائعةِ ، فالثَّعابينُ الصغيرةُ لا يُمكنُها عُبُورَ هذه الخيوط ... ولكنَّ السؤالَ هو الآتي :

– من الذي علَّمَ هذا الطيْرَ الصغيرَ هذه الطريقةَ الهندسيَّةَ لبناءِ العش !؟ . إن توازُنَه رائعٌ لا يميلُ بالصِّغارِ يمنةً ولا يسرةً ولا ولا تؤثِّر فيه الرياحُ ؟ . إذا قلنا الغَريزة ... فهو أمرٌ مُضحك ! .. فالغريزةُ عمياءُ لا تَعقِل . وإذا افترضنا أَنها الغَريزةُ فمن الذي خَلَقَ هَذهِ الغريزة ؟! هُنَاك إجابةٌ صحيحةٌ واحدةٌ : وهي أَنَّ الله هو الذي علَّمَ هذا الطيرَ كما علَّم كلَّ المخلوقاتِ الأُخرى وسائِلَ المحافظةِ علَى حَيَاتِها » .

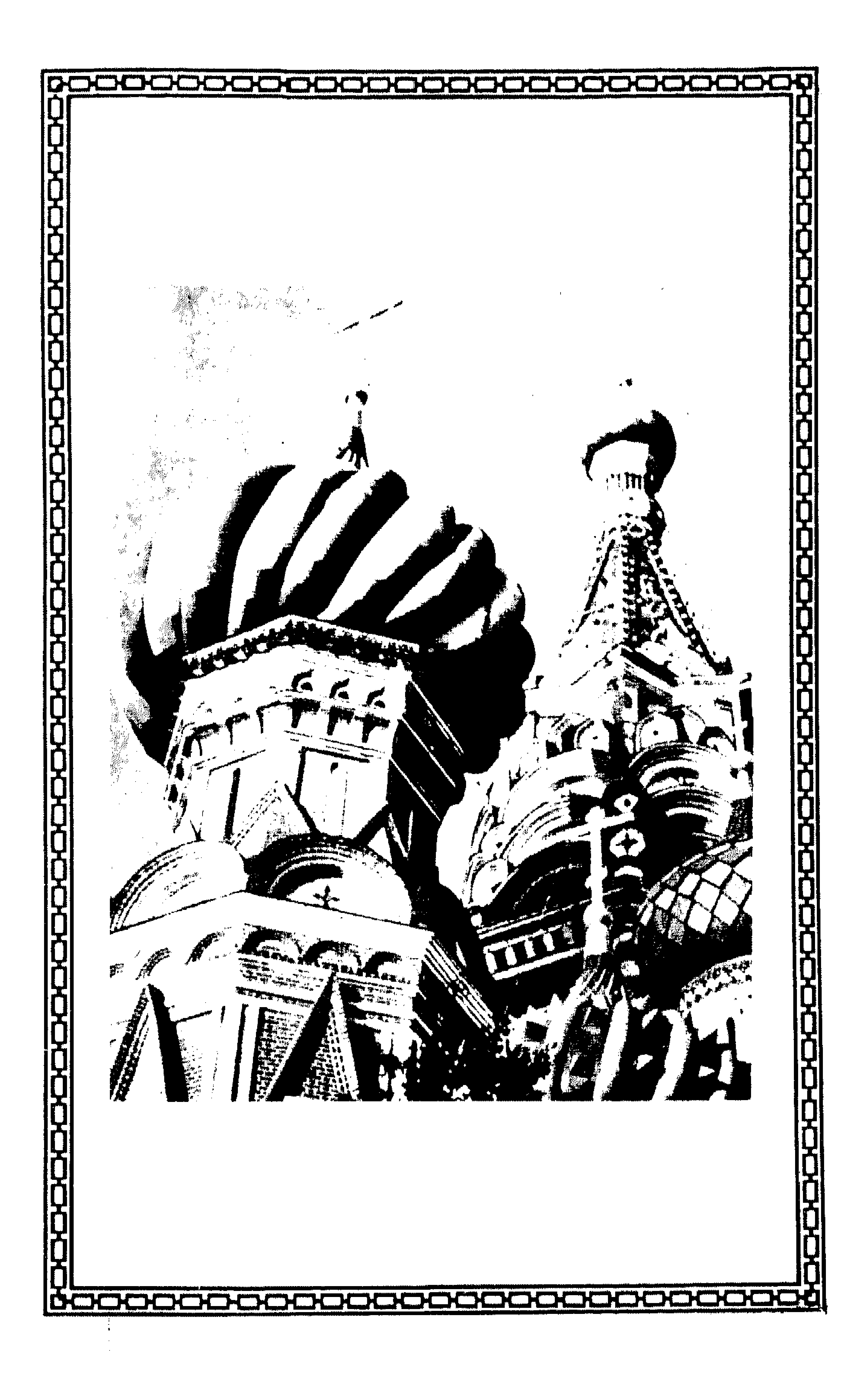
كان (طاغُور) – مثل أَرسطو – يهتمُّ

بِدراسةِ كل ما يمكنُ دراستُهُ عن الحيواناتِ والطيور ...

وكانَ في ذَلك أيضاً مثلَ الاسكندر الأكبر الذي انتقلتْ إليه هذه الهوايةُ من المعلِّم الأوَّلِ (أرسطو) . فكانَ لا يَنْسى في كلِّ بَلَدٍ يدخلُه أن يرسِلَ إلى أُستاذِه مع رُسُلٍ مأمونين كلَّ ما يصادِفُه من مختلفِ أنواعِ الحيواناتِ والطيورِ والحشَراتِ ومَعَها تقاريرُ مفصَّلةٌ عن أماكِنِ وجودِها وطُرُقِ معيشتِها والأطعِمَةِ التي اعتادَتْ عليها ...

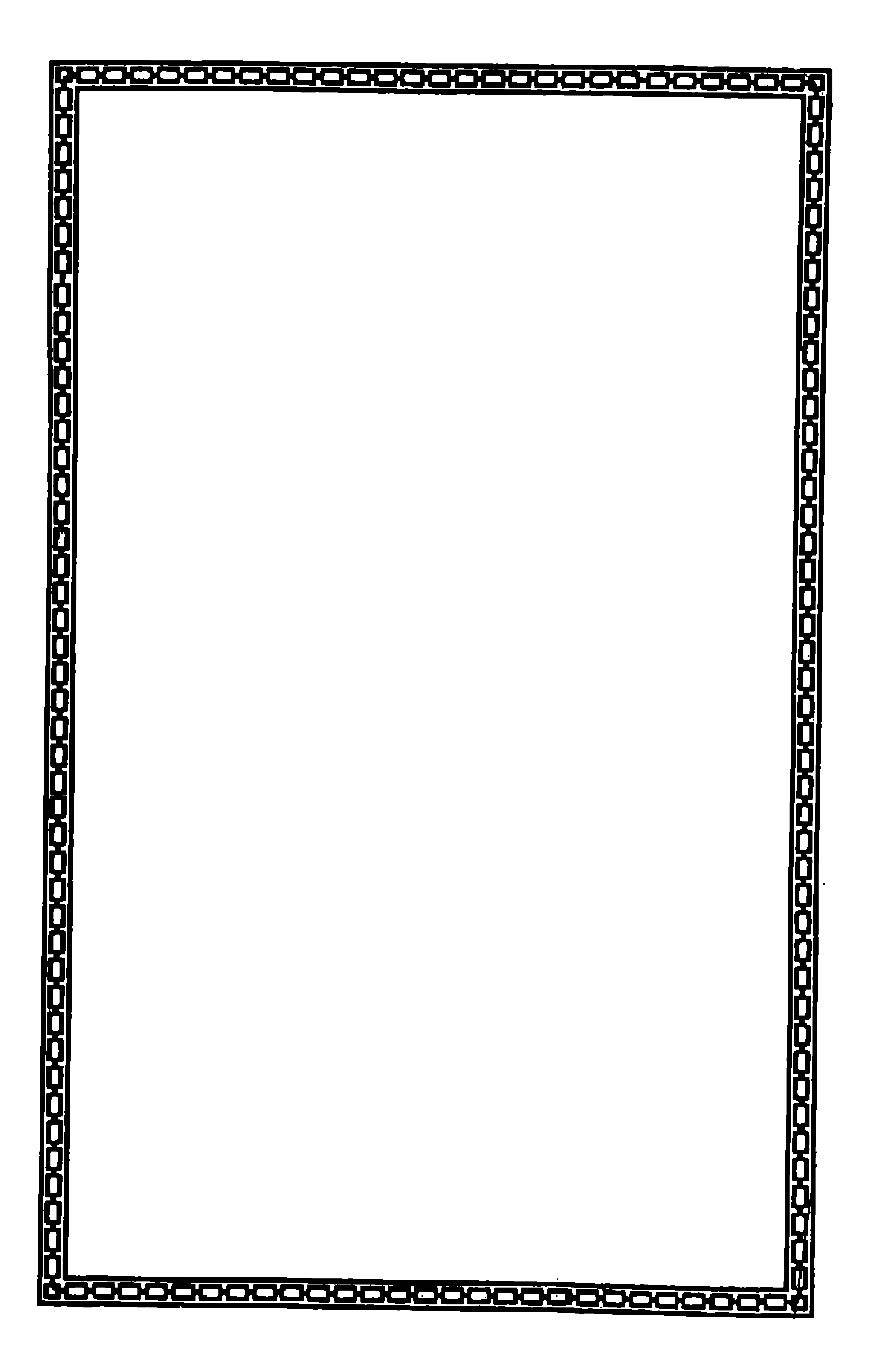
ولذلك قالَ بعض المؤرخين إنَّ أولَ حديقةٍ أُنشِئَت للحيوان كانَتِ الحديقةُ التي أنشأَها الفيلسوف (أرسطو) ليضَع فيهـا ما كان الاسكندرُ الأكبرُ يرسلُه إليه .

وكان طاغور يحتفِظُ ايضاً بمجموعاتٍ من طيورِ الزينةِ المفرَّدَةِ وبعض الحيواناتِ الاليفة .



الفصل السابع

طاغور وغاندي



قلنا في مقدمةِ هذا الكتاب إن القَدَرَ أَحياناً يجودُ على بعضِ الأُممِ والشعوبِ فيمنحُها أَكثرَ من عبقريٍّ واحدٍ في فترةٍ محدودةٍ من الزمن ...

ولقد منَح القَدَرُ شِبهَ القــارَّةِ الهنديّةِ عبْقَريَّتين عَظيمتين هما (المهاتما غاندي) و (رابندرانات طاغور) .

المعروفُ أن (غاندي) كان يَسْعَى إلى تخليصِ الهند من رِبْقَةَ الاستعمارِ البريطانيِّ ،

وكانَ يَعرفُ أنَ الهند لا تملكُ من القوةِ العسكريَّة ما يمكِّنُهـا من محاربَةِ الإنجليزِ المستعمرين الذين كانُوا يحكُمون الهندَ بقوَّةِ السِّلاح ...

ولجأَ (غاندي) إلى دَعْوَتِهِ الخالِدةِ وهِيَ طريقةُ عَدم ِ التعاونِ مع الإنجليزِ ، ومقاطعةُ كلٍّ مصنوعاتِهم وغيرِ ذلك من الوسائل التي ذكرْنا تَفصيلاتِها ومُلابَساتِها في كتابنا الذي أَصدرناه عن (المهاتما غاندي) وهو أَحد كتبِ سلسلة « عباقرة خالدون » .

وكان منَ الوسائلِ التي لجأَ اليها غاندي دعوةُ الهنودِ جميعاً إلى عدم ِ شراءِ أَو ارتداءِ الأَقمشةِ والملابس المصنوعةِ في انجلترا والمصدّرةِ إلى الهند .

وابتدأَ (غاندي) بِنَفْسِهِ فَخَلَعَ سترتَه الافرنجيةَ وارتدَى ثوباً صَنعه غزّالٌ هِنْديٌّ ...

ولم يكتفِ (غاندي) بذلك ، بَل اشترى مَغزِلاً يدويّاً وصَارَ يغزل الصوفَ بنفسِه ، وأصبحَ المغزِلُ لا يُفارِقُهُ في أيِّ مكانٍ يذهبُ إليه ...

أَصبح المغزِلُ اليدويُّ الذي يحملُه غاندي شِعاراً يُطالِبُ بعَدمِ التعاونِ مع الانجليز حتى يَفقِدوا سوقَ الهند التي كانَتْ تُعْتَبَرُ بالنسبة لهم أعظمَ سوقٍ في العالم ...

ودَعا غاندي الهنودَ إلى أن يَحرِقُوا ملابسَهم المصنوعةَ في انجلترا ، وسُرعانَ ما امتلأَتِ الشوارعُ والميادين العامةُ بالهنودِ وهم يُشعلون النارَ في كلِّ ما هُوَ انجليزيُّ الصَّنْعة ...

كان (رابندرانات طاغور) في هذه الأثناءِ يعيش بقلبِه مع الحركةِ الهنديَّةِ الوطنية ...

ولكن قلبَه وفكرَه كانا مشغوليْن بذلك الحُلْمِ العظيمِ الذي كانَ يتمنّى تحقيقَه ...

إنه نفسُ حُلم الاسكندر الأكبر والفيلسوفِ أرسطو ! . وهو أن يتمَّ الوئامُ والسلامُ بين مختلَفِ الأُممِ والشُعوبِ في العالمِ لكيْ يصبحَ المجتمعُ الإنسانيُّ كلُّه شَعباً واحداً .

إنه نفسُ الحُلم الذي حلَّله وبَحَثَـهُ (رابندرانات طاغور) في كتابِه المسمَّى (الوَطَن والعالم) الذي أَشَرْنا إليه فيما سبق ، والذي تحدث فيه عَنْ (وحدةِ الكائناتِ البشرية The unity of human beings) وأكَّد أنَّـــه المصيرُ المحتومُ الذي لا مَفرّ منه ...

وحينما رأى (طاغور) الشعبَ الهنديَّ يزدادُ حِقدُهُ على الانجليز ، ويعمِدُ بعضُ أفرادِه إلى استعمالِ العنفِ أَحياناً مخالفين في ذلك دعوة المهاتما غاندي ، حينما رأى طاغورُ ذلك خَالَفَ غاندي وعاتَبه واتَّهمه بأنه يُثيرُ الأَحقادَ وبأنَّه سوف يحطِّم حُلْمَ البشرية الذي

يهدِفُ إلى توحيدِ الشعوب ...

وانتهزَت بعضُ الصحفِ الهندية التي كانت مواليةً للاستعمار الانجليزيِّ هذه الفرصةَ وخَصَّصَتْ صفحاتِها لذلك الجَدَلِ الذي ثارَ بين طاغور وغاندي ...

وكانَ غاندي قاسِياً وحاسماً في رُدُودِه على طاغور ، ولكنَّه لم يتَّهِمْه بخيانةِ وطنِه بل اتَّهمه بأَنَه شاعرٌ يعيشُ في أجواءٍ من الخيالِ ، ويَطيرُ وراءَ حُلمِهِ الكبير ، ويتَنَاسى ما يُعانيه الشعبُ الهنديُّ مِنَ الفَقْر والمَرَضِ نَتيجَةَ ـ اسِتنْزافِ الإنجليز لكلِّ مواردِه الطبيعيَّة ...

ومِمّا قاله غاندي لطاغور :

ـ إن كلامَك جميلٌ ، لا شكَّ في ذلك ، ولكِنَّ الشعبَ الهندي لا يُريد الكلامَ الجميل ، يريد كلُّ هنديٍّ أَن يملأَ بطنَه الخاوية ... إن الانجليزَ يأْكلون اللحومَ ويتركونَ لنا

العِظام ، يلتهمونَ الفاكهةَ ويرمونَ لنا بالبذورِ المنبوذة ...

« اهبِطْ من سماءِ خيالِك ولو لمدةِ أُسبوع ، واختِلطْ بفقراءِ الهند ومساكينِها ، أنا واثقٌ من أنك لو فعلتَ ذلك لكتَبتَ لوناً آخَرَ جديداً من قصائِد الشعر ، ولَعلِمْت أن الانجليزَ - لا نحن - هم الذينَ يحطِّمون حُلْمَك الجميلَ بأَن يُصْبحَ العالَمُ كلُّه شعباً واحداً ...

« إن الشعبَ الواحدَ الذي تحلم به يجبُ أن تتوافرَ فيه المساواةُ والإخاءُ والعدالة . إن هذه الأُمورَ من المستحيلِ أن تتحققَ ما دامَ الإنجليزُ بِغَطْرسَتِهم وبُعدِهم عن أَبْسطِ مبادىءِ الإنسانية ، يعتبرون أنفسَهم أسياداً . وينظرون إلينا كمجرَّدِ عبيدٍ مُسخَّرين لخِدمَتِهم وإثْرائِهم ..

وقد كانَتْ لردودِ غاندي أَبلغُ الآثارِ على تفكيرِ (رابندرانات طاغور) ...

إنَّها – كما قالَ هو نفسُه بعد ذلك – أيْقَظَته من حُلمِه الذي كان يعتبرُه جميلاً ، ولكنه في الواقعِ كانَ كابوساً مُزْعِجاً بالنسبةِ للشعبِ الهنديِّ ...

وحدثَ بعد ذلك أن هاجَم الجنودُ البريطانيُّون عَدداً من العمالِ الهنودِ العُزَّلِ من السلاحِ لإضرابِهم عن العَمَلِ في أَحَدِ المصانع البريطانية ، فقُتِل وجُرِح الكثيرون من الهنود ...

وما أَن سَمعَ (رابندرانات طاغور) بهذهِ المذبحة اللاإنسانيةِ ، حتى هاجَم علناً الانجليزَ ووصفهم بالوَحْشِيةِ وخلعَ الأَوسمَةَ البريطانيَّةَ التي كانُوا قَد أَنْعَمُوا عَلَيْهِ بها ...

وذَهبَ (طاغور) بنفسِه إلى دارِ المهاتما غاندي ومَعه عددٌ من رفاقه .

وفُوجِىءَ غاندي بِحُضور طاغور ...

كان الخلافُ ما زال مُستحكِماً بينَهُما ،

وكانَ غاندي يعرفُ عن طاغور عِنادَه واعتزازَه برأيِه ، ولم يَكُن يتوقَّعُ أنه سيخضَعُ لوُجهةِ نظره ....

وما كادَ (طاغور) يَدْخل إلى الرَّدهةِ التي كانَ يجلسُ فيها المهاتما غاندي مع بعضِ رفاقِه حتى صاح بصوتٍ عالٍ :

– جئتُ إليك لأَعتذرَ ، إن الإنسانَ إذا عَرِفَ أنه على خطإٍ ولم يَشَأْ الاعتذارَ عن ذلك الخطأْ ، كان إنساناً جَباناً ، إني أعتذرُ لك أَمَامَ الناس ، لقد كنْتُ مخطئاً في وُجهةِ نظري ، وسأُكرِّسُ قلَمي وعقلِيَ وقلبيَ وحيَاتي كلَّها بعد ذلك لخدمةِ قضيَّتِنا الوطنيَّة ، ولن تهدأَ لي ثائرةٌ إلا بعد أَن يُطردَ آخِرُ جنديٍّ بريطانيٍّ من الهند ! ...

وما كادَ غاندي يَسْمعُ منه ذلك حتى اندفَع إليه ، وتعانقَ الرجلان ودُموعُ التأَثُّرِ

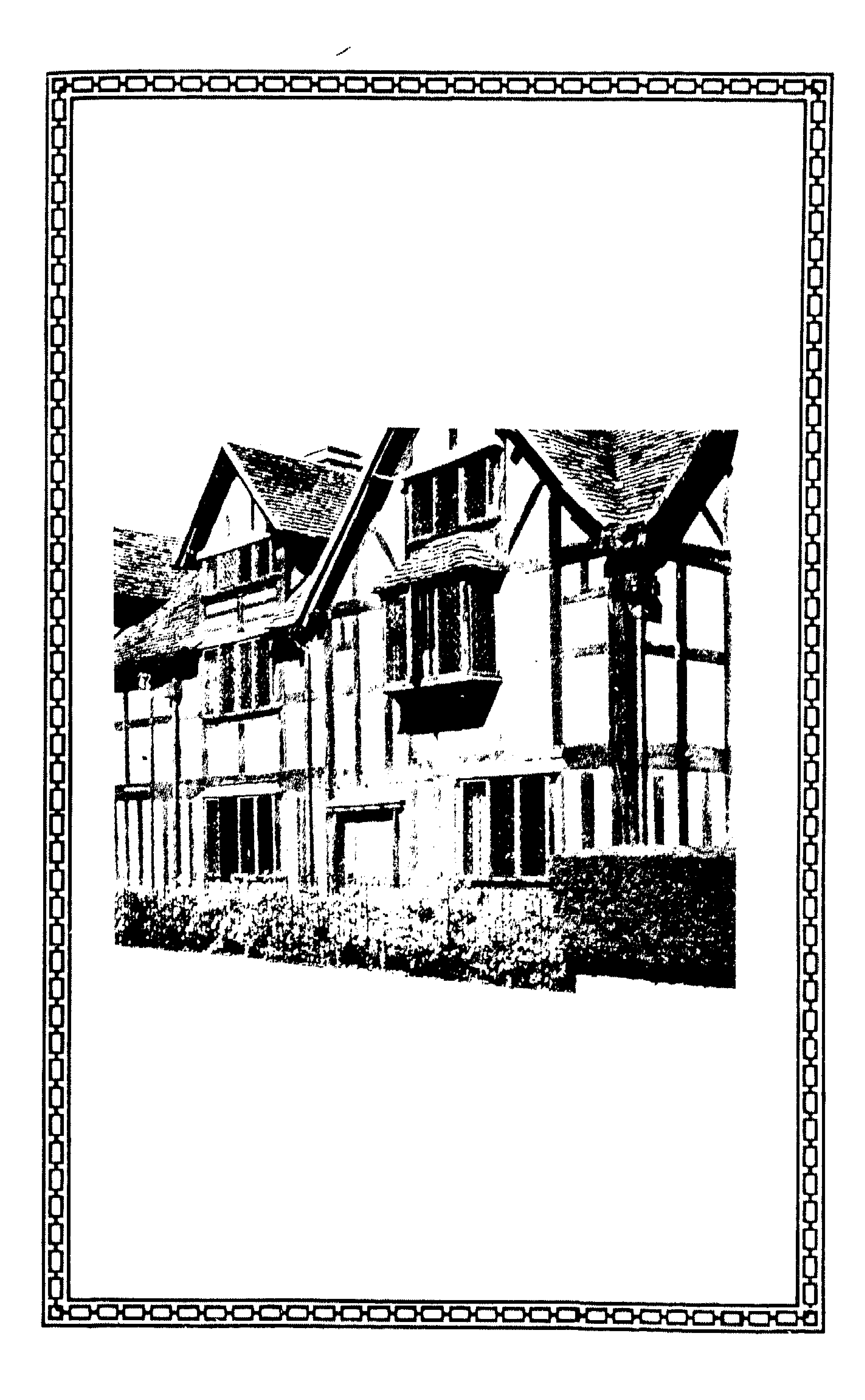
تفيضُ من أعْينِهما .

وقال له غاندي :

ـ كنتُ أعرفُ أنك رجلٌ وطني عظيم ؛ ولم يَتزعْزعْ هذا الاعتقادُ لديَّ لحظةً واحدةً ، على الرغمِ مما نَشَب بيننا من خلافاتٍ في وُجُهاتِ النظر ...

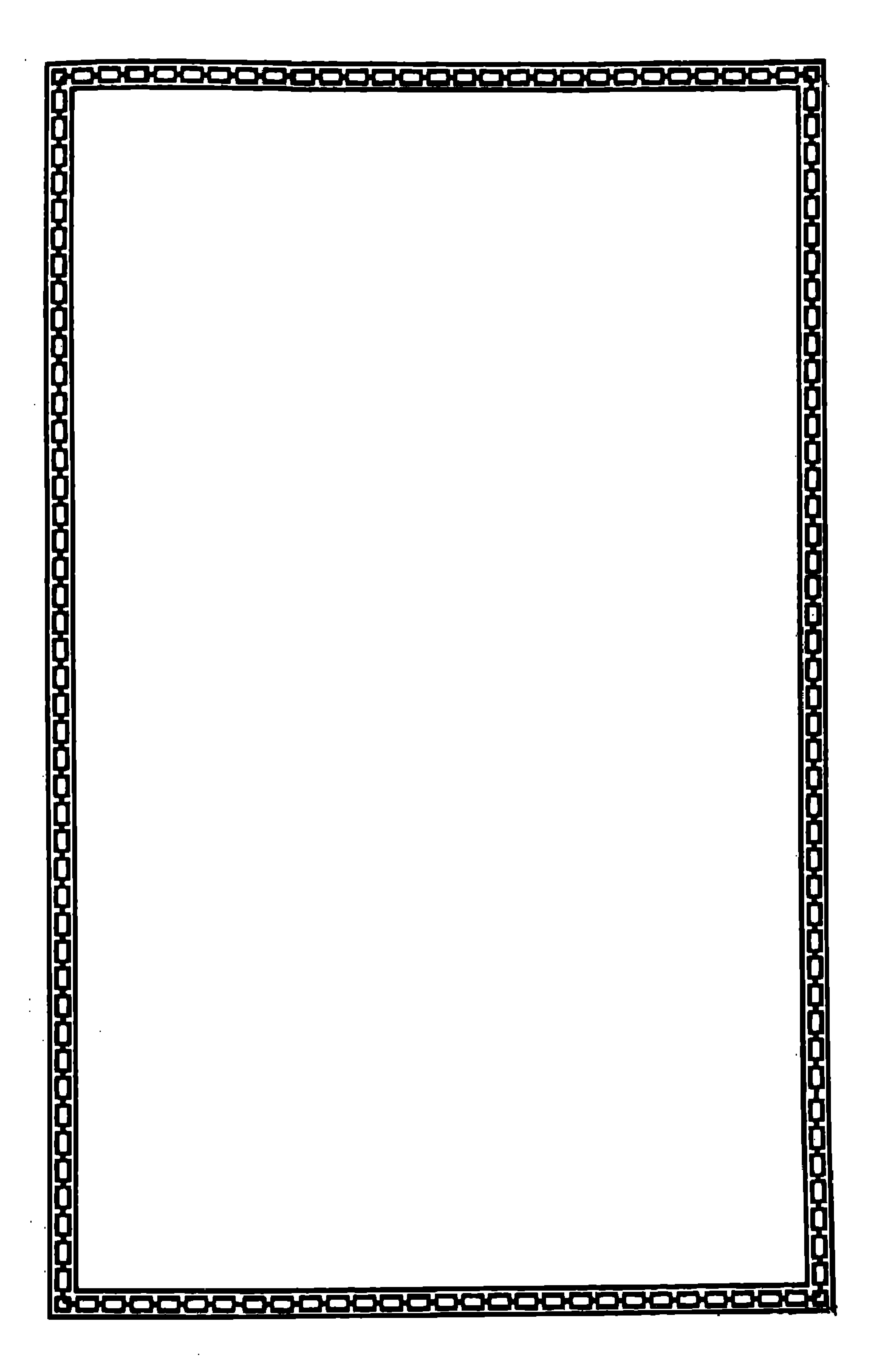
ومنذ هذا اليومِ أوفَى (رابندرانات طاغور) بِوعدِه وألَّف عدداً كبيراً من الأغاني الوطنيةِ الحماسيةِ التي وضَع بِنفسِهِ ألحانَها، كما سبقَ أن ذكرْنا ، والتي سُرعان ما رَدَّدَتْهَا كافَّةُ طبقاتِ الشعب ، وكانَت مِن أهَمِّ العوامِل التي سَاعَدَتْ على إشْعَالِ جَذْوَةِ الرُّوحِ الوطنِيَّةِ في الهِنْد .

***



الفَصل الثَامِن

كَلِمَةٌ خِتَامِيّةٌ



لا يُعتبرُ هذا الكتابُ بطبيعة الحال إحصاءً أَو حصْراً لجميعِ المجهوداتِ التي بذلها العبقريُّ الفذُّ (رابندرانات طاغور) في مختلفِ ميادين الأَدب أَو الفن . لقد تحدثنا في لمحاتٍ عابرةٍ مركّزَةٍ عن
أَشعارِه وعن تمثيلياتِهِ ومسرحيّاتِهِ ورواياتِه التي كانَ يعمد في بعضها إلى الطريقة الرمزية ، شأْنُه في ذلك شأْنُ الفيلسوفِ الفَرنسي (جان بول سارتر) وغيره من الأُدباء والفنانين في العصر الحديث ...

ولكنَّ (طاغور) كانت له آثارُه العظيمةُ أَيضاً في إدخالِ فنِّ كتابةِ القصّةِ القصيرة (Short Story) على الأَدبِ الهندي .

والمعروفُ أَن الأَدبَ الهنديَّ القديمَ ـ وخصوصاً المكتوب منه باللغةِ (السانكريتية) ، لم يكُنْ يَعرفُ ما هِيَ القصة القصيرة ، وذلك لأَنه كانَ يعتمدُ على الرواياتِ والأَساطير القديمةِ التي تتخلّلُها قصائدُ من الأَشعار ، وكَانت تُكتب كلُّها بطريقةٍ مطوّلةٍ جداً وبالغـةِ التَّعقيد

لقد تَرجَم (طاغور) عَدداً من القَصَصِ القصيرة، من اللغة الانجليزية إلى اللغةِ الهنديَّة.

ولكنَّه هو نفسَه قامَ بتأْليفِ العديد من القصصِ القصيرة الهادفةِ ... التي كانَت تمتازُ بقوَّةِ الحبْكةِ وبالتَّشْويقِ وبالأُسْلوبِ السَّلِسِ الخالي من التَّعقيد ...

ويَرجعُ إلى (طاغور) الفضلُ الأَولُ في تخليصِ اللغةِ البنغالية من بعضِ التعقيداتِ الصَّعبةِ التي كانَتْ مفروضةً عليها من فُقهاءِ اللغةِ (السانكريتية) .

ومن الآثارِ التي خَلَّدتْ ذِكرى (طاغور) في الهند تلك المدرسةُ التي أَسَّسَها على حافَّةِ الغابةِ والتي تبعد مائةَ ميل عن مدينة (كلكتا). وهي التي أَطْلق عليها اسمَ : « مقرّ السلام » .

لقد ذاعَ صيتُ هذِه المدرسةِ وتخرّجَ فيها عددٌ كبيرٌ من الناجحين وظلَّت ترتَقي وتَتوسَّعُ حتى اتخذَتْ شَكْلَ جامِعَة .

وأَصبحَ يتردَّدُ على مدرسةِ (مقرّ السلام) مئاتٌ من طلاَّب العِلْمِ كلَّ عام ، يَفِدون إليها من كافَّةِ أَنحاءِ شِبْهِ القارَّةِ الهنديةِ المترامية الأَطراف ، بل أَصبحت مَقْصِدَ الطلاب من دُولٍ أُخرى ، وما لبثت أَن اعترفت جامعاتُ العالمِ بالشهاداتِ التي تَمنحها جامِعةُ (مقر السلام) لخرّيجيها في مُختَلَفِ العلوم والفنون والآدابِ ...

وأَروعُ ما في هذه الجامعةِ أَنها لا تُفَرِّقُ

بين جنسيّةٍ وأُخرى ، فجميعُ الطلبةِ من مختلفِ الجنسياتِ يَلْقَون نفس المعاملةِ التي يلقاها الطَلَبةُ الهنود . فقد أَراد مؤسِّسُهــا (طاغور) أن يجعلَ منها صورةً مصغرةً لحُلمِه الكبير الذي طالما راودَه ، وهو أن يجمعَ كلَّ شعوبِ الأَرضِ تحت لواء السلامِ والمحبّــةِ وكأَنهم شعبٌ واحد ...

ولم يكتفِ (طاغور) بإِنْشاءِ مدرستِهِ العظيمة هذه ، بل أَسَّس إلى جانبِها وعلى مشارفِ الغابةِ قريةً نموذجيةً صغيرةً أُطلق عليها اسمَ (مقرّ الرخاء) .

ووضَع على مدخلِ القرية لافتتين ، كَتب على إحديهما باللغة الانـجليزية اسم القرية : « Abode of prosperity » . وكتب عــلى الأُخرى اسمها باللغة الهندية (Strinketan)

وفي هذه القرية النموذجية أَحْضَر (طاغور)

خُبراءَ مِن الهنودِ في مختلف الصناعاتِ والحِرفِ اليدويَّة ، ليدرِّبوا الصغارَ ، ممَّن لا رغبةَ لهم في مواصلةِ الدرس ، على إتْقَانِ هذهِ الحِرَف والصناعاتِ ، ثم بَيْعِ منتجاتهم في الأَسواقِ على أَن يتوقفَ رِبْحُ كلٍّ صانعٍ على قَدْرِ جهدِه ...

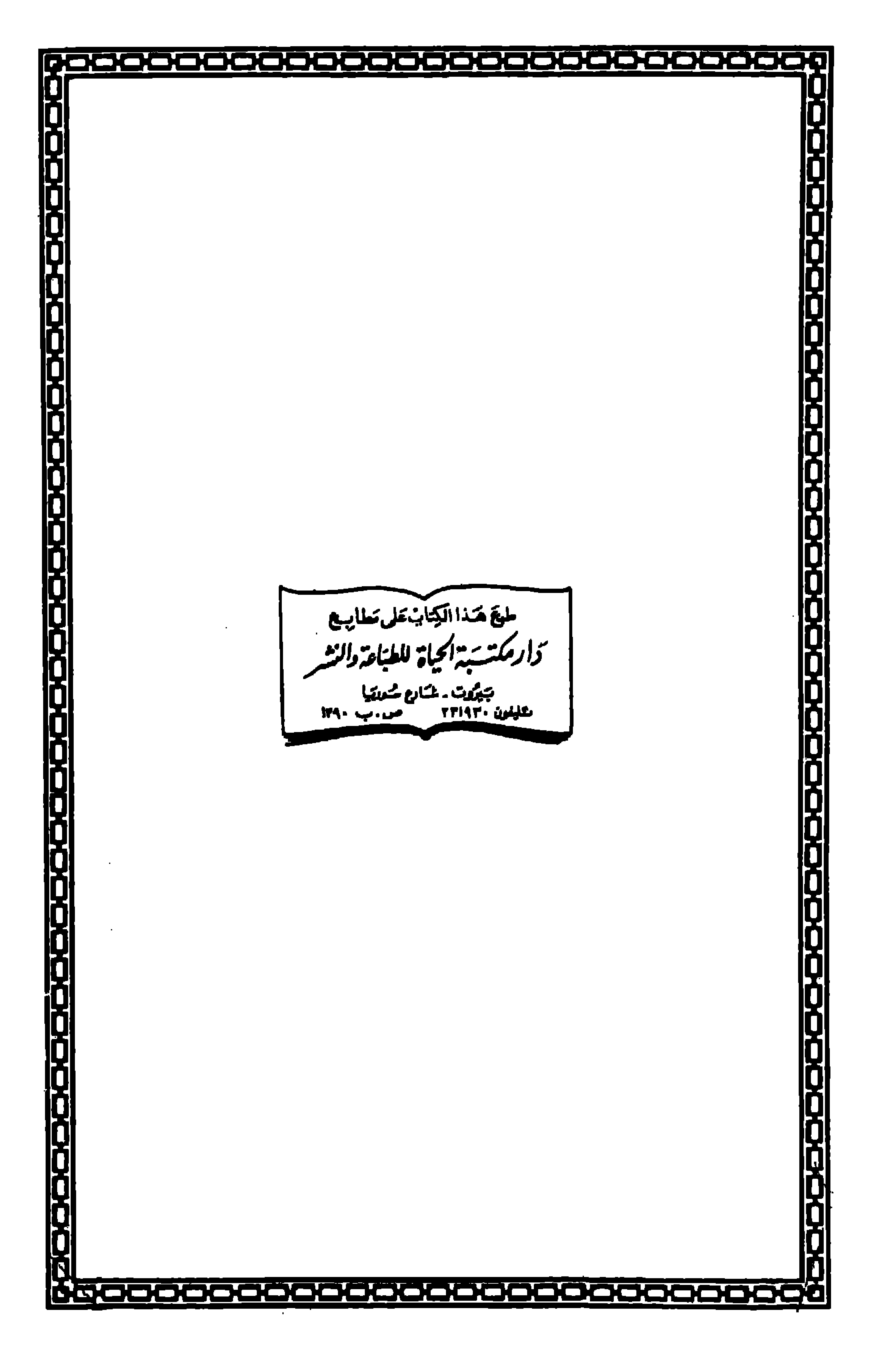
ووَضع (طاغور) لهذه القرية النموذجيةِ قواعدَ لإدارتها تُشبه القوانينَ المعمولَ بها في البلادِ الأُخرى ، ولكنَّها كانَت تعتمدُ على نظامِ التحكيمِ في الخلافاتِ التي قد تَنْشَأُ بين سُكانها ، إلاَّ أَنَّ هَذه الخلافاتِ كانَتْ قليلةً جِداً وشِبهَ معدومةٍ ، فالمحبَّةُ المتبادلةُ والتعاونُ بين الجميعِ كان رائدَ جميعِ سُكَّانِ هذهِ القرية ...

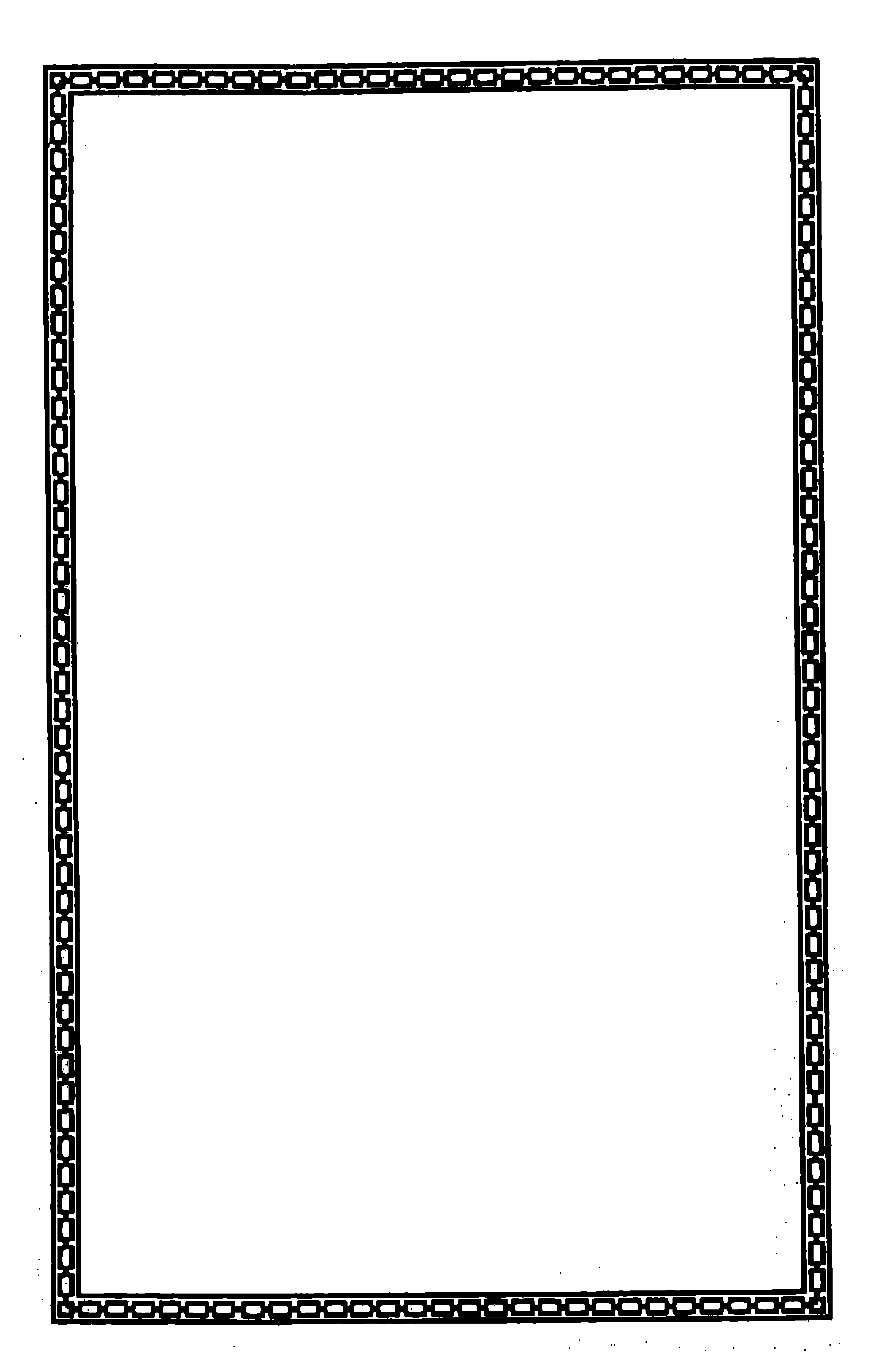
لقد أَرَاد (رابندرانات طاغور) من وراءِ محاولتِهِ هذه أَن يُنشِيءَ مجتمعاً مثالياً ، ويبدو

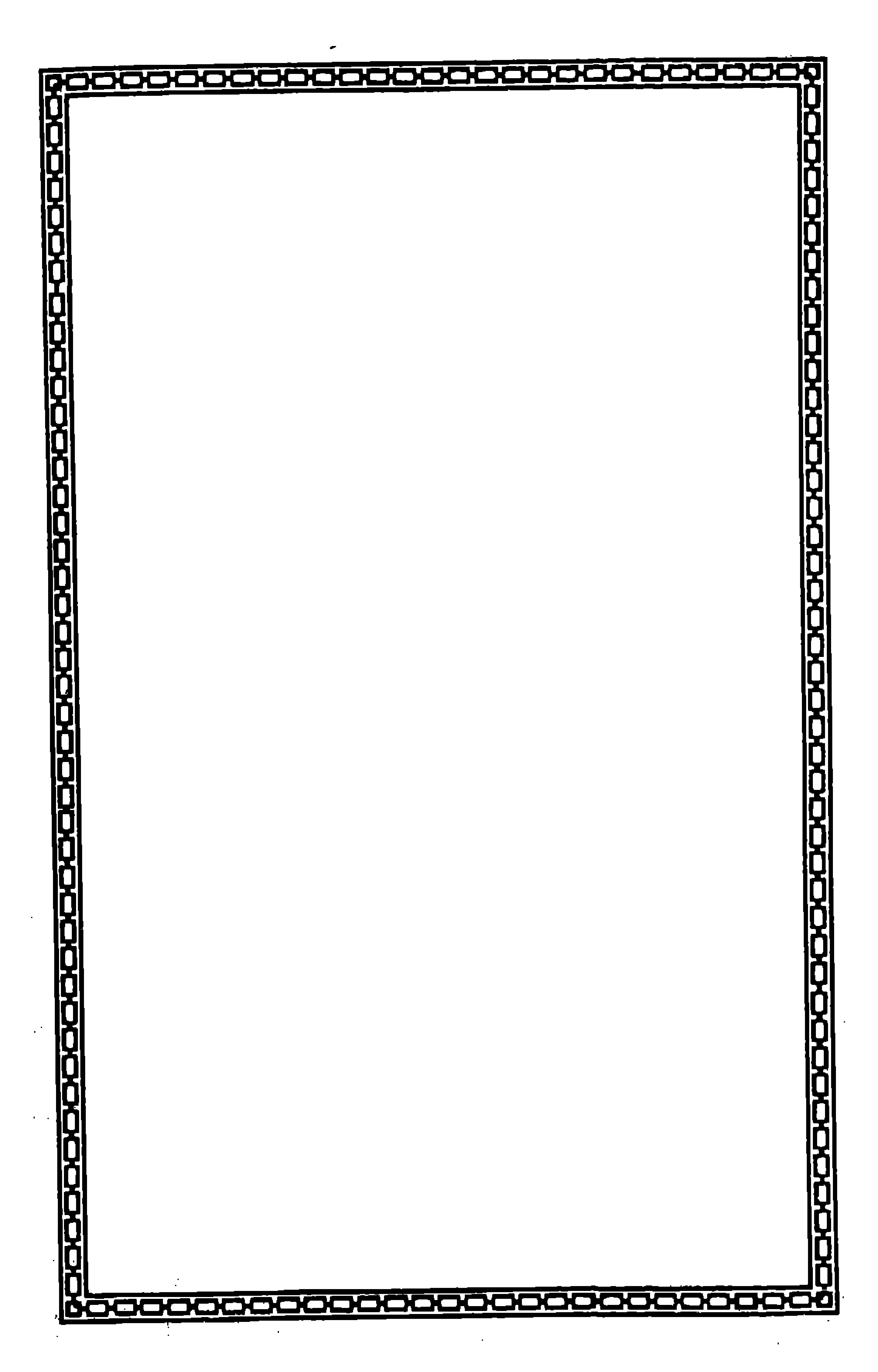
أنه نَجَح إلى حدٍّ بعيدٍ في تحقيق ذلك الأَمل ...
وكان (طاغور) في كثيرٍ من الأَحيان يحضر بعضَ الدروس كمجرَّد تلميذٍ ، أَو ... طالِب مِهَني .
وكان من هُواة صُنعِ السجّاد اليَدويّ فيستمع إلى أُستاذ هذه المهنة في اهتمامٍ كبير ويحاولُ فعلاً نَسْجَ إحدى السجاجيد .
وكان هَذا المسلكُ منه بطبيعة الحال يُشَجِّع الجميعَ على مُواصلةِ تدريباتِهم الحِرفِيَّة ...

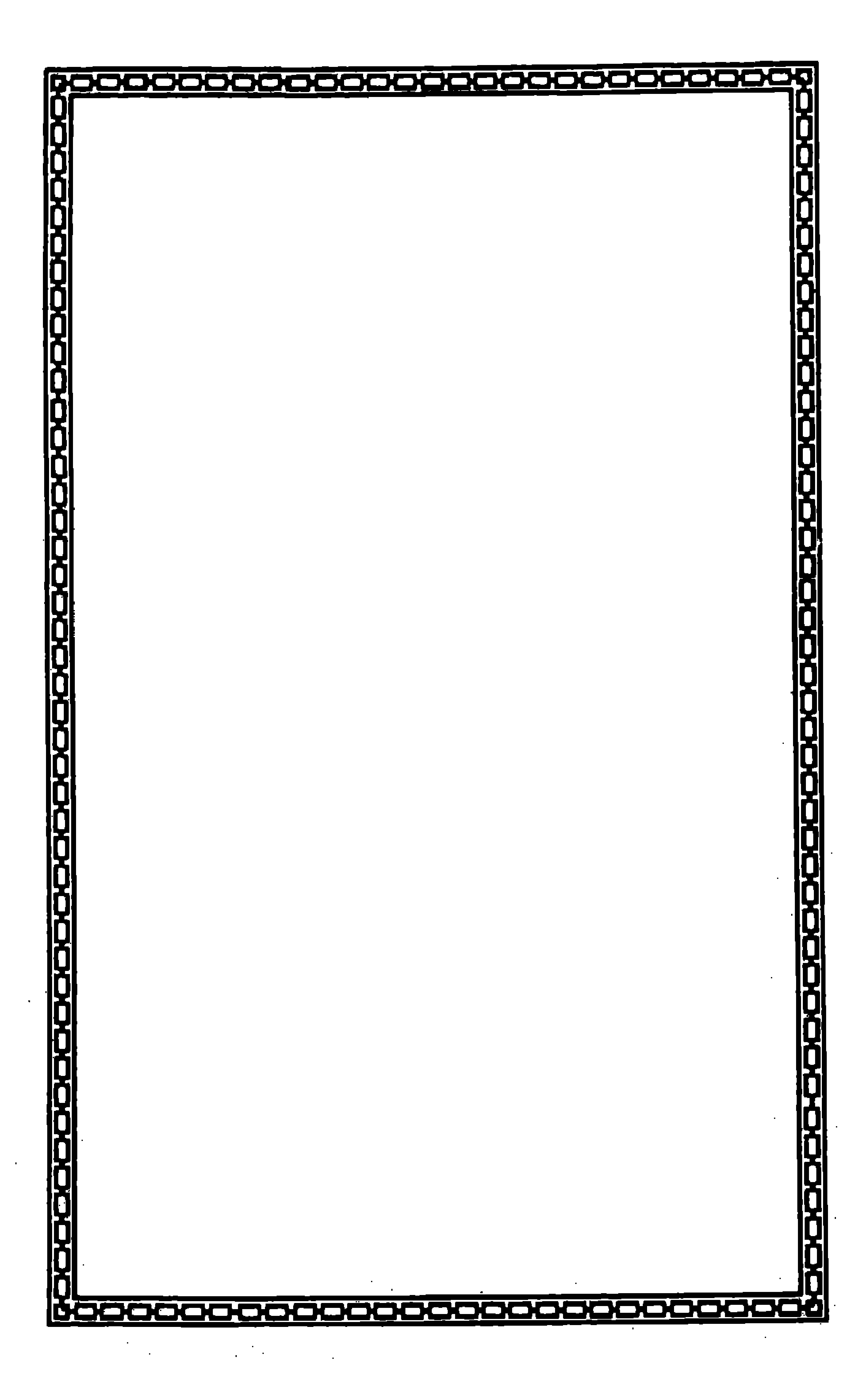


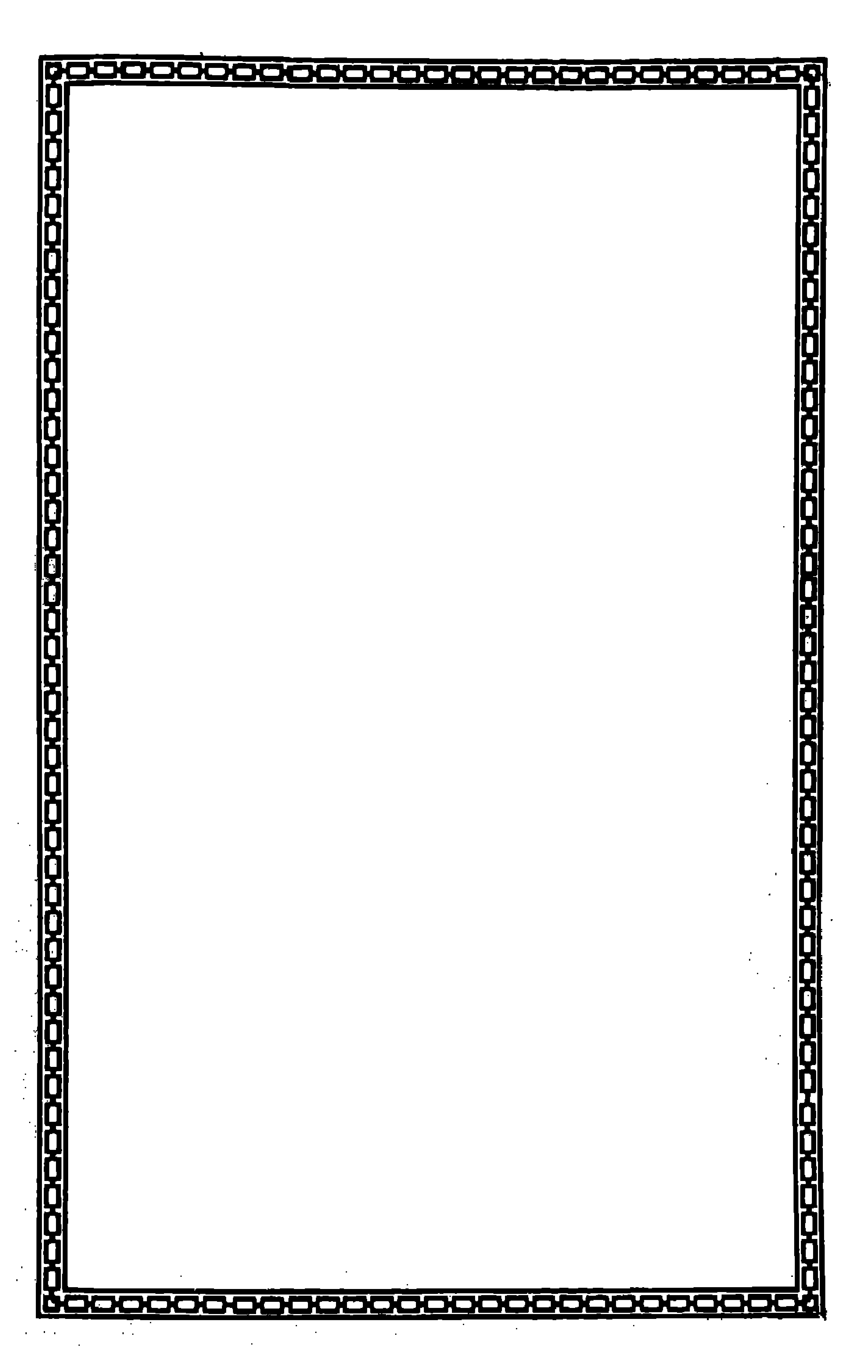
المحتويات

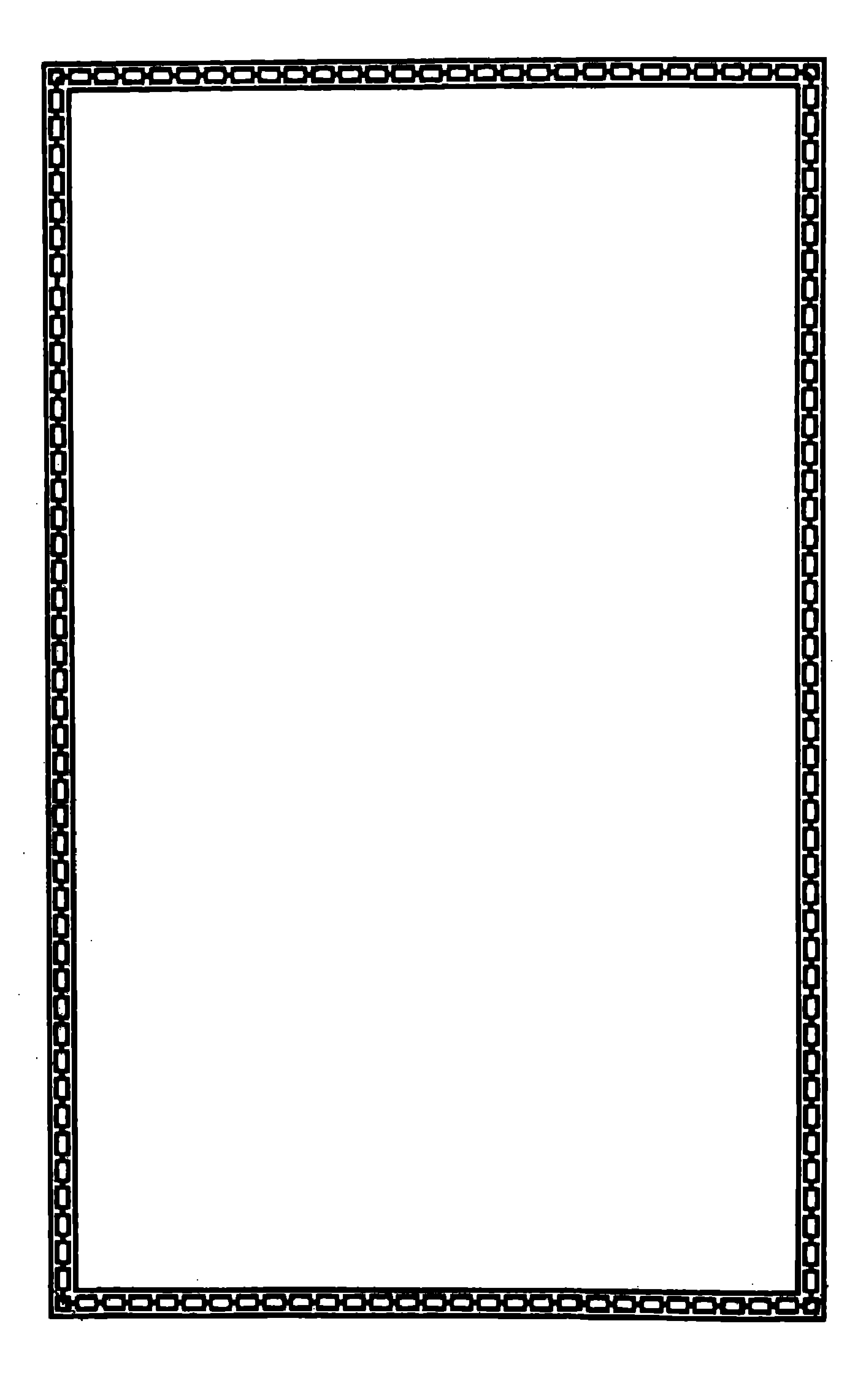

طبع هذا الكتاب على مطابع
دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر
بيروت - شارع سوريا
تلفون ٢٣١٩٣٠ ص. ب ١٣٩٠











منشورات المكتب العالمي بيروت
للطباعة والنشر